مؤسسة ابن جبرين الخيرية
Ibn Jebreen Foundation

الدورة العِلمِيَّة ٢٣

تحت رعَايَة مؤسسة

سَماحَةِ الشَّيخ العَلَّامَةِ

د. عُبَادِ اللهِ بنِ عَبدِ الرَّحمَنِ الجبرين

متون

الدورة العلمية (٢٣)

الفترة من: ٢١/ ٠٨/ ١٤٤٦هـ إلىٰ: ٢٧/ ٨/ ١٤٤٦هـ

تَحْتَ رِعَايَةِ مُؤَسَّسَةِ

سماحة الشيخ العلامة

د. عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حمدًا لك اللهم ربنا وشكرًا، علىٰ تتابع نعمك، وجزيل عطائك، وصلاة وسلامًا دائمًا دائبًا، علىٰ عبدك ورسولك وصفيك، محمد بن عبد الله، دليل الهدىٰ، وإمام التقىٰ، وعلىٰ آله الطيبين، وصحابته الغر الميامين، والتابعين لنهجهم، والسائرين علىٰ دربهم، **أما بعد:**

فها نحن ندلف للعام **الثالث والعشرين للدورة العلمية، تحت رعاية مؤسسة: سماحة الشيخ الوالد عبد الله بن عبد الرحمن ابن جبرين رحمه الله** التي غرس أُسّها، ورعىٰ غرسها، ثمانية أعوام، ثم أكمل المسيرة، ومشىٰ علىٰ السيرة، خلفه العدول من تلاميذه ومحبيه، من طلاب العلم جزاهم الله خيرًا.

وقد تعودنا في كل عام تقديم المتون العلمية للطلاب المشاركين في الدورة، لتكون المادة المشروحة حاضرة بين أيديهم في سِفْرٍ واحد، تسهل معه المتابعة، ويتيسر التعليق في الصفحات التي أعدت لذلك.

ولا شك أن الإخوة الطلاب، يعلمون أن الهدف من هذه الدورات: تزويد الطلاب بنبذ من العلوم، تكون سببًا في الترقي لدرجات العلم، مفتاحها الإخلاص، وزادها الجد، وثمرتها العمل.

وقد بذل الفريق الإداري الذي يتابع تنظيم هذه الدورات جهده في استكمال الإعدادات، وتهيئة الوسائل المعينة علىٰ الطلب، علىٰ مدىٰ أربعة أشهر، فأسأل الله أن يثيبهم، وأن يبارك في جهدهم، وأن ينفع الطلاب بذلك.

وأقدم شكري ودعائي للإخوة العلماء، وطلاب العلم الذين تبرعوا بالتدريس في هذا العام، وهم: فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ **أحمد بن عبدالرحمن المهنا**. وفضيلة الشيخ/ **محمد بن عبدالله المعيوف**. وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ **خالد بن علي المشيقح**. وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ **مضحي بن عبيد الشمري**. وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ **عبدالله بن عبدالعزيز العنقري**. وفضيلة الشيخ/ **فهد بن سليمان الفهيد**.

وأختم بالشكر والدعاء، لكل من ساهم بعلمه، أو جهده، أو ماله، وأسأل الله للجميع التوفيق والسداد، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

المشرف العام علىٰ مؤسسة ابن جبرين الخيرية

أ.د. عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين

كتاب البر والصلة
من صحيح مسلم

للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري رحمه الله تعالىٰ
(٢٠٦-٢٦١هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام مسلم بن الحجاج القشيري، أبو الحسين النيسابوري الحافظ رحمه الله:

كتاب البر والصلة والآداب

باب بر الوالدين وأنهما أحق به

١ - (٢٥٤٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ جَمِيلِ بْنِ طَرِيفٍ الثَّقَفِيُّ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم؛ فَقَالَ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ». وَفِي حَدِيثِ قُتَيْبَةَ: مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ وَلَمْ يَذْكُرِ النَّاسَ.

٢ - (٢٥٤٨) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ: أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ».

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٣ - (٢٥٤٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ عُمَارَةَ وَابْنِ شُبْرُمَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم، فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ جَرِيرٍ. وَزَادَ؛ فَقَالَ: نَعَمْ وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّ.

٤ - (٢٥٤٨) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ. (ح) وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ خِرَاشٍ، حَدَّثَنَا حَبَّانُ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ - كِلَاهُمَا عَنِ ابْنِ شُبْرُمَةَ - بِهَذَا الْإِسْنَادِ فِي حَدِيثِ وُهَيْبٍ: مَنْ أَبَرُّ؟ وَفِي حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ: أَيُّ النَّاسِ أَحَقُّ مِنِّي بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ جَرِيرٍ.

٥ - (٢٥٤٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ حَبِيبٍ. (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ الْقَطَّانَ، عَنْ سُفْيَانَ وَشُعْبَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا حَبِيبٌ، عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ».

٥ - (٢٥٤٩) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ حَبِيبٍ سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم فَذَكَرَ بِمِثْلِهِ. قَالَ مُسْلِمٌ: أَبُو الْعَبَّاسِ اسْمُهُ السَّائِبُ بْنُ فَرُّوخَ الْمَكِّيُّ

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٦ - (٢٥٤٩) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ بِشْرٍ، عَنْ مِسْعَرٍ. (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ. (ح) وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجُعْفِيُّ، عَنْ زَائِدَةَ كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ جَمِيعًا عَنْ حَبِيبٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

٦ - (٢٥٤٩) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ أَنَّ نَاعِمًا مَوْلَىٰ أُمِّ سَلَمَةَ حَدَّثَهُ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: «أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَىٰ نَبِيِّ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ قَالَ: فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ بَلْ كِلَاهُمَا. قَالَ: فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَارْجِعْ إِلَىٰ وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا».

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

بَابُ تَقْدِيمِ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى التَّطَوُّعِ بِالصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا

٧ - (٢٥٥٠) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ، قَالَ حُمَيْدٌ: فَوَصَفَ لَنَا أَبُو رَافِعٍ صِفَةَ أَبِي هُرَيْرَةَ لِصِفَةِ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم أُمَّهُ حِينَ دَعَتْهُ كَيْفَ جَعَلَتْ كَفَّهَا فَوْقَ حَاجِبِهَا، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَيْهِ تَدْعُوهُ، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ كَلِّمْنِي. فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي. فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ، فَرَجَعَتْ ثُمَّ عَادَتْ فِي الثَّانِيَةِ، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ فَكَلِّمْنِي. قَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ فَقَالَتِ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا جُرَيْجٌ وَهُوَ ابْنِي وَإِنِّي كَلَّمْتُهُ، فَأَبَىٰ أَنْ يُكَلِّمَنِي، اللَّهُمَّ فَلَا تُمِتْهُ حَتَّىٰ تُرِيَهُ الْمُومِسَاتِ. قَالَ: وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَنَ لَفُتِنَ.

قَالَ: وَكَانَ رَاعِي ضَأْنٍ يَأْوِي إِلَىٰ دَيْرِهِ. قَالَ: فَخَرَجَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْقَرْيَةِ فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي، فَحَمَلَتْ، فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقِيلَ لَهَا: مَا هَذَا؟ قَالَتْ: مِنْ صَاحِبِ هَذَا الدَّيْرِ؟ قَالَ: فَجَاؤُوا بِفُؤُسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ فَنَادَوْهُ، فَصَادَفُوهُ يُصَلِّي فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ، قَالَ: فَأَخَذُوا يَهْدِمُونَ دَيْرَهُ، فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ نَزَلَ إِلَيْهِمْ؛ فَقَالُوا لَهُ: سَلْ هَذِهِ. قَالَ: فَتَبَسَّمَ ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: أَبِي رَاعِي الضَّأْنِ، فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُ قَالُوا: نَبْنِي مَا هَدَمْنَا مِنْ دَيْرِكَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. قَالَ: لَا وَلَكِنْ أَعِيدُوهُ تُرَابًا كَمَا كَانَ. ثُمَّ عَلَاهُ».

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٨ - (٢٥٥٠) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ -وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي؛ فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ. فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي. فَأَقْبَلَ عَلَىٰ صَلَاتِهِ فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ. فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي. فَأَقْبَلَ عَلَىٰ صَلَاتِهِ فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي. فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ. فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي. فَأَقْبَلَ عَلَىٰ صَلَاتِهِ فَقَالَتِ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّىٰ يَنْظُرَ إِلَىٰ وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ.

قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَىٰ صَوْمَعَتِهِ فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّىٰ أُصَلِّيَ. فَصَلَّىٰ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَىٰ الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي. قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَىٰ جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ: لَا أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ، كَمَا كَانَتْ. فَفَعَلُوا.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَىٰ دَابَّةٍ فَارِهَةٍ وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذَا. فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ، قَالَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فَمِهِ، فَجَعَلَ يَمُصُّهَا.

قَالَ: وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ. وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا. فَتَرَكَ الرَّضَاعَ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا. فَهُنَاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ: حَلْقَىٰ! مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ. فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. وَمَرُّوا بِهَذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا، وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا. فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا.

قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا: زَنَيْتِ وَلَمْ تَزْنِ وَسَرَقْتِ وَلَمْ تَسْرِقْ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا».

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

بَابُ: رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ

٩ - (٢٥٥١) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ. قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ».

١٠ - (٢٥٥١) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ. قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ».

١٠ - (٢٥٥١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، حَدَّثَنِي سُهَيْلٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: رَغِمَ أَنْفُهُ. ثَلَاثًا ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

بَابُ صِلَةِ أَصْدِقَاءِ الْأَبِ وَالْأُمِّ وَنَحْوِهِمَا

١١ - (٢٥٥٢) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي الْوَلِيدِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ «أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ وَحَمَلَهُ عَلَىٰ حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَىٰ رَأْسِهِ، فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللهُ إِنَّهُمُ الْأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ».

١٢ - (٢٥٥٢) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ، عَنِ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «أَبَرُّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أَبِيهِ».

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

١٣ - (٢٥٥٢) حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ جَمِيعًا عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُسَامَةَ بْنِ الْهَادِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَىٰ مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ إِذَا مَلَّ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأْسَهُ، فَبَيْنَا هُوَ يَوْمًا عَلَىٰ ذَلِكَ الْحِمَارِ إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: أَلَسْتَ ابْنَ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ؟ قَالَ: بَلَىٰ. فَأَعْطَاهُ الْحِمَارَ، وَقَالَ: ارْكَبْ هَذَا وَالْعِمَامَةَ قَالَ: اشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ.

فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: غَفَرَ اللهُ لَكَ أَعْطَيْتَ هَذَا الْأَعْرَابِيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ. فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ، وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ».

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

بَابُ تَفْسِيرِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ

١٤ - (٢٥٥٣) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ: الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ».

١٥ - (٢٥٥٣) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ يَعْنِي ابْنَ صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ نَوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: «أَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم بِالْمَدِينَةِ سَنَةً مَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْهِجْرَةِ إِلَّا الْمَسْأَلَةُ كَانَ أَحَدُنَا إِذَا هَاجَرَ لَمْ يَسْأَلْ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم عَنْ شَيْءٍ قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ».

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ، وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا

١٦ - (٢٥٥٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ جَمِيلِ بْنِ طَرِيفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ قَالَا: حَدَّثَنَا حَاتِمٌ (وَهُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ)، عَنْ مُعَاوِيَةَ (وَهُوَ ابْنُ أَبِي مُزَرِّدٍ مَوْلَىٰ بَنِي هَاشِمٍ) حَدَّثَنِي عَمِّي أَبُو الْحُبَابِ سَعِيدُ بْنُ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ قَالَ: نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ قَالَتْ: بَلَىٰ قَالَ: فَذَاكِ لَكِ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٢-٢٣].

١٧ - (٢٥٥٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي مُزَرِّدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ».

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

١٨ - (٢٥٥٦) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» قَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ: قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ.

١٩ - (٢٥٥٦) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ الضُّبَعِيُّ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ، عَنْ مَالِكٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ».

١٩ - (٢٥٥٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ، وَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم.

٢٠ - (٢٥٥٧) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ التُّجِيبِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

٢١ - (٢٥٥٧) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٢٢ - (٢٥٥٨) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ (وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّىٰ) قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ الْعَلَاءَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ».

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّدَابُرِ

٢٣ - (٢٥٥٩) حَدَّثَنِي يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ قَالَ: قَرَأْتُ عَلَىٰ مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ».

٢٣ - (٢٥٥٩) حَدَّثَنَا حَاجِبُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ الزُّبَيْدِيُّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ.

(ح) ٢٣ - (٢٥٥٩) وَحَدَّثَنِيهِ حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ، أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم بِمِثْلِ حَدِيثِ مَالِكٍ.

٢٣ - (٢٥٥٩) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ وَعَمْرٌو النَّاقِدُ جَمِيعًا عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَزَادَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: وَلَا تَقَاطَعُوا.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٢٣ - (٢٥٥٩) حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ يَعْنِي ابْنَ زُرَيْعٍ. (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ جَمِيعًا عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ. أَمَّا رِوَايَةُ يَزِيدَ، عَنْهُ فَكَرِوَايَةِ سُفْيَانَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ يَذْكُرُ الْخِصَالَ الْأَرْبَعَةَ جَمِيعًا، وَأَمَّا حَدِيثُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ: وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا.

٢٤ - (٢٥٥٩) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا».

٢٤ - (٢٥٥٩) حَدَّثَنِيهِ عَلِيُّ بْنُ نَصْرٍ الْجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ وَزَادَ كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

بَابُ تَحْرِيمِ الْهَجْرِ فَوْقَ ثَلَاثٍ بِلَا عُذْرٍ شَرْعِيٍّ

٢٥ - (٢٥٦٠) حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ قَالَ: قَرَأْتُ عَلَىٰ مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ».

٢٥ - (٢٥٦٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ. (ح) وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ. (ح) وَحَدَّثَنَا حَاجِبُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، عَنِ الزُّبَيْدِيِّ. (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ كُلُّهُمْ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِإِسْنَادِ مَالِكٍ وَمِثْلِ حَدِيثِهِ إِلَّا قَوْلَهُ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا فَإِنَّهُمْ جَمِيعًا قَالُوا فِي حَدِيثِهِمْ غَيْرَ مَالِكٍ: فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا.

٢٦ - (٢٥٦١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي فُدَيْكٍ، أَخْبَرَنَا الضَّحَّاكُ وَهُوَ ابْنُ عُثْمَانَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ».

٢٧ - (٢٥٦٢) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ ثَلَاثٍ».

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

بَابُ تَحْرِيمِ الظَّنِّ وَالتَّجَسُّسِ وَالتَّنَافُسِ وَالتَّنَاجُشِ وَنَحْوِهَا

٢٨ - (٢٥٦٣) حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ قَالَ: قَرَأْتُ عَلَىٰ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا».

٢٩ - (٢٥٦٣) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَهَجَّرُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا».

٣٠ - (٢٥٦٣) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا».

٣٠ - (٢٥٦٣) حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ وَعَلِيُّ بْنُ نَصْرٍ الْجَهْضَمِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ: «لَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ».

٣١ - (٢٥٦٣) وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا حَبَّانُ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا».

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ، وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ

٣٢ - (٢٥٦٤) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ يَعْنِي: ابْنَ قَيْسٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَىٰ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَىٰ هَا هُنَا وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ».

٣٣ - (٢٥٦٤) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ أُسَامَةَ وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ مَوْلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ دَاوُدَ وَزَادَ وَنَقَصَ، وَمِمَّا زَادَ فِيهِ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَىٰ صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَىٰ صَدْرِهِ».

٣٤ - (٢٥٦٤) حَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ».

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

بَابُ النَّهْيِ عَنِ الشحناءِ، وَالتَّهَاجُرِ

٣٥ - (٢٥٦٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا».

٣٥ - (٢٥٦٥) حَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ الدَّرَاوَرْدِيِّ كِلَاهُمَا عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ بِإِسْنَادِ مَالِكٍ نَحْوَ حَدِيثِهِ غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ الدَّرَاوَرْدِيِّ إِلَّا الْمُتَهَاجِرَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبْدَةَ، وَقَالَ قُتَيْبَةُ: إِلَّا الْمُهْتَجِرَيْنِ

٣٦ - (٢٥٦٥) حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ مَرَّةً قَالَ: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ، فَيَغْفِرُ اللهُ عز وجل فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا».

٣٦ - (٢٥٦٥) حَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِرِ وَعَمْرُو بْنُ سَوَّادٍ قَالَا: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «تُعْرَضُ أَعْمَالُ النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّتَيْنِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، إِلَّا عَبْدًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: اتْرُكُوا أَوِ ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَفِيئَا».

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

بَابٌ: فِي فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللهِ

٣٧ - (٢٥٦٦) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعْمَرٍ، عَنْ أَبِي الْحُبَابِ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي».

٣٨ - (٢٥٦٧) حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَىٰ بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَىٰ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَىٰ مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَىٰ عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عز وجل قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ».

٣٨ - (٢٥٦٧) قَالَ الشَّيْخُ أَبُو أَحْمَدَ: أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ زَنْجُوَيَةَ الْقُشَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَىٰ بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فوائد مستنبطة
من قصة يوسف عليه السلام

للعلامة المفسر عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله
(١٣٠٧-١٣٧٦هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلىٰ الله علىٰ محمد، وآله وصحبه وسلم. **أما بعد**:

فهذه فوائد مستنبطة من قصة يوسف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ جميع الأنبياء والمرسلين، فإن الله تعالىٰ قصها علينا مبسوطة، وقال في آخرها: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف:١١١]، والعبرة ما يعتبر به، ويعبر منه إلىٰ معان وأحكام نافعة، وتوجيهات إلىٰ الخيرات، وتحذير من الهلكات؛ وقصص الأنبياء كلها كذلك، لكن هذه القصة خصها الله بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴾ [يوسف:٧].

ففيها: آيات وعبر منوعة لكل من يسأل ويريد الهدىٰ والرشاد، لما فيها من التنقلات من حال إلىٰ حال، ومن محنة إلىٰ محنة، ومن محنة إلىٰ منحة ومنة، ومن ذلة ورق إلىٰ عز وملك، ومن فرقة وشتات إلىٰ اجتماع وإدراك غايات، ومن حزن وترح إلىٰ سرور وفرح، ومن رخاء إلىٰ جدب، ومن جدب إلىٰ رخاء، ومن ضيق إلىٰ سعة. إلىٰ غير ذلك مما اشتملت عليه هذه القصة العظيمة، فتبارك من قصها ووضحها وبينها.

(١) **فمن فوائد هذه السورة**: أن فيها أصولًا لعلم تعبير الرؤيا، فإن علم تعبير الرؤيا علم عظيم مهم، مبناه علىٰ حسن الفهم، والعبور من الألفاظ والمحسوسات والمعنويات أو ما يناسبها بحسب حال الرائي وبحسب الوقت والحال المتعلقة بالرؤيا.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وقد أثنىٰ الله علىٰ يوسف عليه الصلاة والسلام بعلمه بتأويل الأحاديث، تأويل أحاديث الأحكام الشرعية والأحاديث المتعلقة بتعبير الرؤيا.

والفرق بين الرؤيا الصحيحة والأحلام التي هي أضغاث أحلام لا تأويل لها مثل ما يراه من يفكر ويطيل تأمله لبعض الأمور، فإنه كثيرًا ما يرىٰ في منامه من جنس ما يفكر به في يقظته، فهذا النوع الغالب عليه أنه أضغاث أحلام لا تعبير له.

وكذلك نوع آخر ما يلقيه الشيطان علىٰ روح النائم من المرائي الكاذبة والمعاني المتخبطة فهذه أيضًا لا تعبير لها، ولا ينبغي للعاقل أن يشغل بها فكره، بل ينبغي له أن يلهىٰ عنها.

وأما الرؤيا الصحيحة: فهي إلهامات يلهمها الله للروح عند تجردها عن البدن وقت النوم، أو أمثال مضروبة يضربها الملك للإنسان ليفهم بها ما يناسبها.

وقد يرىٰ الشيء علىٰ حقيقته ويكون تعبيره هو ما رآه في منامه، فيوسف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطاه الله من العلم ما يميز به بين المرائي الصحيحة والباطلة، والحق والباطل منها.

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

وهذه القصة فيها الدلالة علىٰ تعبير الرؤيا من وجوه:

أحدها: رؤيا يوسف التي قصها علىٰ أبيه يعقوب صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف:٤]؛ ففسرها يعقوب صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بغاياتها وما تؤول إليه، وبوسائلها التي تتقدم عليها، ففسر الشمس والقمر بأبي يوسف وأمه، والكواكب الأحد عشر بإخوته، وأن الحال سيكون مآلها أن الجميع ليسجدون ليوسف ويخضعون له.

ولهذا لما حصل الاجتماع ودخل أبوه وأمه وإخوته مصر، ورفع أبويه علىٰ العرش خر الجميع له سجدًا وقال يوسف متذكرًا ذلك التعبير والتفسير: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف:١٠٠]، وهذا أمر عظيم تصل بيوسف الحال إلىٰ أن يكون معظمًا تعظيمًا بليغًا عند أبويه وإخوته، وكذلك عند الناس.

وهذه الغاية تستدعي وسائل ومقدمات لا تحصل إلا بها، وهو العلم الكثير العظيم والعمل الصالح والإخلاص والاجتباء من الله والقيام بحق الله وحقوق الخلق؛ فلهذا قال في ذكر السبب الموصل لهذه الغاية الجليلة: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف:٦].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

يعني: لا بد أن يتم الله عليك نعمته بتعليم العلوم النافعة والأعمال الصالحة والاجتباء من الله، وحصول الأخلاق الجميلة والمقامات الجليلة، فبشره بحصول هذه الأمور، ثم بالوصول إلىٰ الرفعة في الدنيا والآخرة.

وفي ضمن هذا التعبير من يعقوب ليوسف بشارة له وتسهيل لما سيناله من المشقات والكروب مع إخوته وفي السجن؛ فإن من علم أن المكاره والمشقات تفضي إلىٰ الخير والراحات تسلىٰ وهانت عليه مشقتها وسهلت عليه وطأتها، وحصل بذلك من اللطف والروح بشيء عظيم.

وهذا من جملة اللطف الذي أشار إليه يوسف في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ [يوسف:١٠٠]، وهذا من مقتضىٰ حكمة الله أن المراتب العاليات لا تنال إلا بالوسائل الجليلة، ولهذا قال إن ربك عليم حكيم.

ومن فوائد هذا التعبير لرؤيا يوسف: بشارة عظيمة ليعقوب وأم يوسف وإخوته بحصول الرفعة والصلاح والخير، فيعقوب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أكابر الأنبياء وأفاضل الأصفياء، وأمه لها من الخير والصلاح والرفعة في الدنيا والآخرة حيث شبهت بالشمس أو بالقمر، علىٰ اختلاف القولين، وإخوة يوسف وإن كان قد جرىٰ منهم في حق أبيهم وأخيهم من الأذية والعقوق والقطيعة ما جرىٰ، ولكن أباهم وأخاهم عفيا عنهم واستغفر الله لهم والله تعالىٰ أرحم الراحمين.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فالشمس والقمر والنجوم تضمنت النور والارتفاع، ولكنها متفاوتة في نورها بحسب التفاوت بين الأبوين وبين الإخوة، فالحاصل أن هذه الرؤيا تضمنت ما حصل ليوسف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خير الدنيا والآخرة والمقامات العظيمة والوسائل والمنن التي أوردتها هذه الأمور وما حصل لأبويه وإخوته من مشاركته في خير الدنيا والآخرة، والله تعالىٰ أعلم.

عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الفصل الأول

وأما رؤيا الفتيين؛ حيث قال أحدهما: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُ﴾ [يوسف:٣٦]؛ فتلطفوا ليوسف أن يبلغهما بتأويل رؤياهما لما شاهدوا من إحسانه للأشياء وإحسانه إلىٰ الخلق؛ ففسر رؤيا من رأىٰ أنه يعصر خمرًا أنه ينجو من سجنه ويعود إلىٰ مرتبته وخدمته لسيده، فيعصر له العنب الذي يؤول إلىٰ الخمر، وفسر رؤيا الآخر فيقتل ثم يصلب فتأكل الطير من رأسه.

فالأول: رؤياه جاءت علىٰ وجه الحقيقة.

والآخر: رؤياه جاءت علىٰ وجه المثال وأنه يقتل، ومع قتله يصلب ولا يدفن حتىٰ تأكل الطيور من رأسه.

وهذا من الفهم العجيب والغوص علىٰ المعاني الدقيقة، وذلك أن العادة أن المقتول يدفن في الحال ولا تتمكن السباع والطيور من الأكل منه؛ ففهم أن هذا سيقتل ولا يدفن سريعًا حتىٰ يصل إلىٰ هذه الحال، وفي هذا من فضيحته وخزيته وسوء مصيره الدنيوي ما تقشعر منه الجلود، وحيث علم أن هذه الرؤيا صحيحة، لا بد من وقوعها، قال لهما: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ [يوسف:٤١]، وهذا من كمال علمه للتعبير الذي لا يعبر عن ظن وتوهم وإنما يعبر عن علم ويقين.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وأما المناسبة في ذلك في أن الطيور لا تقرب الحي وإنما تتناول الميت إذا لم يكن عنده أحد، وهذا إنما يكون بعد قتله وصلبه.

ومن كمال يوسف ونصحه وفطنته العجيبة أنهما لما قصا عليه رؤياهما تأنىٰ في تعبيرها ووعدهما بتعبيرها بأسرع وقت، فقال: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ [يوسف:٣٧]؛ فوعدهما بتعبيرها قبل أول طعام يأتيهما من خارج السجن ليطمئنا ويشتاقا إلىٰ تعبيرها، وليتمكن من دعوتهما قبل التعبير ليكون أدعىٰ لقبول الدعوة إلىٰ الله؛ لأن الدعوة لهما إلىٰ الله أهم من تعبير رؤياهما.

فدعاهما إلىٰ الله بأمرين:

أحدهما: بحاله وما هو عليه من الوصف الجميل الذي أوصله إلىٰ هذه الحال الرفيعة، بقوله: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف:٣٧-٣٨].

الأمر الثاني: دعاهما بالبرهان الحقيقي الفطري؛ فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٣٩-٤٠].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فإن من توحد بالكمال من كل وجه، وبالقهر للعالم العلوي والسفلي، المستحق للألوهية الكاملة، الذي خلق الخلق لعبادته وأمرهم بها وله الحكم علىٰ عباده في الدنيا والآخرة هو الذي لا ينبغي العبادة إلا له وحده دون المعبودات الناقصة المتفرقة، التي كل قوم يدعون إلهيتها، وليس فيها من معاني الإلهية شيء ولا استحقاق، وإنما هي أسماء اصطلحوا علىٰ تسميتها أسماء بلا معان فرأىٰ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ دعوتهما إلىٰ الله أولىٰ بالتقديم علىٰ تفسير رؤياهما وأنفع لهما ولغيرهما.

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

الفصل الثاني

وأما رؤيا الملك؛ فإنه رأىٰ سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات عجاف وسبع سنبلات خضر يأكلهن ويستولي عليهم سبع سنبلات يابسات ضعيفات فهالته، وجمع لها كل من يظن فيه المعرفة فلم يكن عند أحد منهم علم بتعبيرها، وقالوا: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف:٤٤].

وبعد هذا تفطن الذي خرج من السجن لحالة يوسف وما هو عليه من العلم العظيم والعلم بالتعبير، وتفطن لوصيته التي أنساه الشيطان ذكر ربه لحكمة قد فصح أمرها، وأنه لا يخرج من السجن إلا بعد اشتهاره وتميزه العظيم علىٰ الناس كلهم بتعبير رؤيا الملك، فطلب هذا الرجل من الملك أن يرسله إلىٰ يوسف، وأنه كفيل بمعرفة تفسيره فلما جاء يوسف قال له: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾، فإن الملك والناس معه أرسلوني إليك لتفسرها لهم وهم في انتظار ذلك متشوقين إليه غاية التشوق، ولهذا قال: ﴿لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٤٦]، ما أهم الملك وأزعجه ولاعه.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ففي الحال فسرها يوسف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزادهم مع التفسير حسن العمل بها وحسن التدبير، فأخبرهم أن البقر السمان والسنابل السبع الخضرات هي سنون رخاء وخصب متواليات تتقدم علىٰ السنين المجدبات؛ وأن البقر العجاف والسنابل اليابسات سنون جدب تليها، وأن بعد هذه السنين المجدبات عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون، وأنه ينبغي لهم في السنين المخصبات أن ينتهزوا الفرصة ويعدوا العدة للسنين الشديدات فيزرعون زروعًا هائلة أزيد بكثير من المعتاد.

ولهذا قال: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾، ومن المعلوم أن جميع السنين يزرع الناس، لكنه أراد منهم أن يزرعوا زروعًا كثيرة ويبذلوا قواهم في كل ما يقدرون عليه، وأنهم يحتاطون في الغلات إذا حصلت بالتحصين والاقتصاد؛ فقال: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف:٤٧]، أي: احفظوا الحاصلات من الزرع حفظًا تسلم به من الفساد والسوس بأن تبقىٰ في سنابلها ويقتصدون في هذه المدة مدة الرخاء فلا يسرفون في الإنفاق، بل يأكلون القليل ويحفظون الكثير، وإن بعد هذه السنين المخصبات سيأتي عليكم سبع سنين مجدبات شديدات، تشمل الديار المصرية وما حولها، وإنها تأكل ما قدم لها مما حفظ في سنين الخصب إلا قليلًا مما تحصنون.

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

ووجه المناسبة أنه كما تقدم أن الرؤيا تعبر بحال رائيها، والمناسبات المتعلقة بها فكالرائي لها الملك الذي تتعلق به أركان الرعية وأمورها، ولهذا كانت رؤياه ليست خاصة له، بل تشمل الناس والرعية.

ووجه المناسبة في تفسير البقرات والسنابل بالسنين ظاهرًا في البقر من وجهين:

أحدهما: أنها هي التي في الغالب يحرث عليها الأرض، والحروث والزروع وتوابعها تبع للسنين في خصبها وجدبها.

والوجه الثاني: البقر من المواشي التي سمنها وعجفها تبع للسنين أيضًا، فإذا أخصبت سمنت وإذا جدبت عجفت وهزلت؛ وكذلك السنابل تزهو الزروع وتكمل وتنمو مع كثرة الماء والسنين المخصبات، وتضعف وتيبس مع السنين المجدبات، فكانت رؤياه في البقر والسنابل من أوصاف السنين وآثارها ومن ذكر الوسائل والغايات؛ فالحرث للأراضي وسيلة، ونمو الزرع وحصول السمن في المواشي هو الغاية من ذلك والمقصود.

وأما قوله: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف:٤٩]، أي: يحصل للناس فيه غيث مغيث، تعيد الأراضي خصبها، ويزول عنها جدبها، وذلك مأخوذ من تقييد السنين المجدبات بالسبع؛ فدل هذا القيد علىٰ أنه يلي هذه السبع ما يزيل شدتها، ويرفع جدبها.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ومعلوم أن توالي سبع سنين مجدبات لا يبقي في الأرض من آثار الخضر والنوابت والزروع ونحوها لا قليلًا ولا كثيرًا، ولا يرفع هذا الجدب العظيم إلا غيث عظيم؛ وهذا ظاهر جدًّا، أخذه من رؤيا الملك.

ومن العجب أن جميع التفاسير التي وقفت عليها لم يذكروا هذا المعنىٰ، مع وضوحه، بل قالوا: لعل يوسف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءه وحي خاص في هذا العام الذي فيه يغاث الناس وفيه يعصرون، والأمر لا يحتاج إلىٰ ما ذكروه، بل هو ولله الحمد ظاهر من مفهوم العدد، وأيضًا ظاهر من السياق؛ فإنه جعل هذا التعبير والتفسير توضيحًا لرؤيا الملك.

ثم اعلم أن رؤيا الملك وتعبير يوسف لها وتدبيره ذلك التدبير العجيب من رحمة الله العظيمة علىٰ يوسف وعلىٰ الملك وعلىٰ الناس؛ فلولا هذه الرؤيا وهذا التعبير والتدبير لهجمت علىٰ الناس السنون المجدبات قبل أن يعدوا لها عدتها فيقع الضرر الكبير علىٰ الأقطار المصرية، وعلىٰ ما جاورها، فصار ذلك رحمة بهم وبغيرهم من الخلق.

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

ألا ترىٰ كيف شمل الجدب البلاد المصرية وشمل البلاد الشامية وفلسطين وغيرها حتىٰ احتاجوا إلىٰ الاكتيال من مصر، واحتاج يوسف أن يقدر للجميع، ويوزع عليهم توزيعًا عادلًا فيه الرفق بالجميع والإبقاء عليهم؟

وكان هذا العلم العظيم من يوسف هو السبب الأعظم في خروجه من السجن وتقريب الملك له من اختصاصه به وتمكينه من الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، وهذا من إحسانه، والله لا يضيع أجر المحسنين؛ ومع هذا الفضل فضل الله أعظم من ذلك، يصيب برحمته من يشاء ممن يختاره، ويختص ويجمع له خير الدنيا والآخرة.

*****

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الفصل الثالث

(٢) ومن فوائد هذه القصة: أنه يتعين علىٰ الإنسان أن يعدل بين أولاده، وينبغي له إذا كان يحب أحدهم أكثر من غيره أن يخفي ذلك ما أمكنه، وأن لا يفضله بما يقتضيه الحب من إيثار بشيء من الأشياء، فإنه أقرب إلىٰ صلاح الأولاد وبرهم به واتفاقهم فيما بينهم؛ ولهذا لما ظهر لإخوة يوسف من محبة يعقوب الشديدة ليوسف وعدم صبره عنه وانشغاله به عنهم سعوا في أمر وخيم، وهو التفريق بينه وبين أبيه؛ فقالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف:٨-٩].

وهذا صريح جدًّا أن السبب الذي حملهم علىٰ ما فعلوا بيوسف من التفريق بينه وبين أبيه هو تميزه بالمحبة، خلاف ما ذكر كثير من المفسرين أن يوسف أخبرهم برؤياه -فحسدوه لذلك- فإنه مناف للآية الكريمة، وسوء ظن بيوسف حيث استكتمه أبوه، فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾ [يوسف:٥]؛ فيوسف أبر وأعقل من أن يخبرهم بها، ولكن كثير من الإسرائيليات تروج علىٰ كثير من الناس، مع أن أقل تأمل في النصوص الشرعية يعلمهم ببطلانها.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

والمقصود: أن الذي حمل إخوة يوسف علىٰ ما فعلوا هو تمييز يعقوب ليوسف، ومع هذا فلا يحل هذا الأمر الشنيع، وهم يعلمون أنه لا يحل لهم، ولكنهم قالوا: افعلوا هذا الجرم العظيم وتوبوا إلىٰ الله بعده؛ فلهذا قالوا: ﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف:٩]، وهذا لا يحل أن يواقع العبد الذنب بأي حالة يكون، ولو أضمر أنه سيتوب منه، فالذنب يجب اجتنابه فإذا وقع وجبت التوبة منه.

ولعل من حكمة الله ورحمته بيعقوب ما قدره عليه من الفرقة التي أحدثت له من الحزن والمصيبة ما أحدثت رفعة لمقاماته في الدنيا والآخرة، ولتكون النعمة عند حصول الاجتماع لها الموقع الأكبر والشكر الكثير والثناء علىٰ الله بها، وليصل ولده يوسف إلىٰ ما وصل إليه من المقامات الجليلة، وعسىٰ أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

(٣) ومن الفوائد: الحث علىٰ التحرز مما يخشىٰ ضره، لقوله: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف:٥]، وما فيها من التأكيد عليهم في حفظه حين أرسله معهم ثم عند إرسال أخيه بنيامين بعد ذلك أخذ عهودهم ومواثيقهم علىٰ ذلك؛ فالإنسان مأمور بالاحتراز، فإن نفع فذاك، وإلا لم يلم العبد نفسه.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

(٤) ومنها: أن من الحزم إذا أراد العبد فعلًا من الأفعال أن ينظر إليه من جميع نواحيه ويقدر كل احتمال ممكن، وأن الاحتراز بسوء الظن لا يضر إذا لم يحقق بل يحترز من كل احتمال يخشىٰ ضرره، ولو تضمن ظن السوء بالغير إذا كانت القرائن تدل عليه وتقتضيه، كما في هذه الآية، وكما قويت القرائن في قوله: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:٦٤]؛ فإنه سبق لهم في أخيه ما سبق فلا يلام يعقوب إذا ظن بهم هذا الظن، وإن كانوا في الأخ الأخير لم يجر منهم تفريط ولا تعد.

(٥) ومنها: الحذر من الذنوب، خصوصًا الذنوب التي يترتب عليها ذنوب أخر ويتسلسل شرّها، كما فعل إخوة يوسف بيوسف، فإنه نفس فعلهم فيه عدة جرائم في حق الله وفي حق والديه وقرابته وفي حق يوسف؛ ثم يتسلسل كذبهم كلما جرىٰ ذكر يوسف وقضيته أخبروا بهذا الكذب الفظيع، ولهذا حين تابوا وخضعوا وطلبوا من أبيهم السماح: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف:٩٧].

(٦) ومنها: أن بعض الشر أهون من بعض؛ فحين اتفقوا علىٰ التفريق بين يوسف وأبيه ورأىٰ أكثرهم أن القتل يحصل به الإبعاد الأبدي: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [يوسف:١٠]؛ فخفف به الشر عنهم، ولهذا لما وردت السيارة الماء وأدلىٰ واردهم دلوه تبشر بوجوده، وقال: ﴿هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ [يوسف:١٩].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وكان إخوته حوله فقالوا: إنه غلام أبق منا؛ وتبايعوا معهم: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ [يوسف:٢٠]، وإنما قصدهم إبعاده والتأكيد علىٰ مشتريه منهم، صورة، أن يحتفظ به لئلا يهرب.

ومن لطف الله أن الذي أخذه باعه في مصر علىٰ عزيزها، فحين رآه رغب فيه جدًّا وأحبه، وقال لامرأته: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ [يوسف:٢١]؛ فبقي مكرمًا عندهم معفىٰ عن الأشغال الشاقة وغيرها متجردا للخير، وهذا من اللطف بيوسف، ولهذا قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف:٢١]؛ فكان تفرغه عند العزيز من أسباب تعلمه للعلوم النافعة ليكون أساسًا لما بعده من الرفعة في الدنيا والآخرة؛ كما أن رؤياه مقدمة اللطف، وكما أن الله أوحىٰ إليه حين ألقاه إخوته في الجب: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف:١٥]، وهذه بشارة له بالنجاة مما هو فيه، وأنه سيصل إلىٰ أن ينبئهم بأمرهم وهم لا يشعرون، وقد وقع ذلك في قوله: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾ [يوسف:٨٩] إلىٰ آخر الآيات. وألطاف المولىٰ لا تخطر علىٰ البال.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

(٧) **ومنها**: أن العبرة في حال العبد بكمال النهاية لا بنقص البداية، وذلك أن إخوة يوسف جرىٰ منهم ما جرىٰ من هذه الجرائم، لكن في آخر أمرهم ونهايته تابوا إلىٰ الله، وطلبوا السماح من أخيهم يوسف ومن والديهم الاستغفار، فحصل لهم السماح التام والعفو الكامل؛ فعفا الله عنهم وأوصلهم إلىٰ الكمال اللائق بهم.

قيل: إن الله جعلهم أنبياء، كما قاله غير واحد من المفسرين في تفسير الأسباط: إنهم إخوة يوسف الاثنا عشر.

وقيل: بل كانوا قومًا صالحين؛ كما قاله آخرون؛ وهو الظاهر، لأن المراد بالأسباط قبائل بني إسرائيل، وهو اسم لعموم القبيلة لأولاد يعقوب الاثني عشر؛ فهم آباء الأسباط وهم من الأسباط، ولهذا في رؤيا يوسف رآهم بمنزلة الكواكب في إشراقها وعلوها، وهذه صفة أهل العلم والإيمان والله أعلم.

ولهذا تفسر رؤيا الشمس والقمر والكواكب بالعلماء والصالحين وقد تفسر بالملوك، والمناسبة ظاهرة.

(٨) **ومنها**: تكميل يوسف صلوات الله عليه لمراتب الصبر.

الصبر الاضطراري: وهو صبره علىٰ أذية إخوته وما ترتب عليها من بعده عن أبويه وصبره في السجن بضع سنين.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

والصبر الاختياري: صبره علىٰ مراودة سيدته امرأة العزيز مع وجود الدواعي القوية من جمالها وعلو منصبها وكونها هي التي راودته عن نفسه وغلقت الأبواب، وهو في غاية ريعان الشباب، وليس عنده من قرابته ومعارفه الأصليين أحد.

ومع هذه الأمور، ومع قوة الشهوة، منعه الإيمان الصادق والإخلاص الكامل من مواقعة المحذور، وهذا هو المراد بقوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف:٢٤]؛ فهو برهان الإيمان الذي يغلب جميع القوىٰ النفسية فكان هو مقدم السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وهو رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ثم بعد ذلك راودته المرأة وراودته، واستعانت عليه بالنسوة اللاتي قطعن أيديهن فلم تحدثه نفسه.

ولم يزل الإيمان ملازمًا له في أحواله حتىٰ قال بعدما توعدته بقولها: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف:٣٢-٣٣]؛ فاختار السجن علىٰ مواقعة المحظور؛ ومع ذلك فلم يتكل علىٰ نفسه؛ بل استغاث بربه أن يصرف عنه شرهن، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن، إنه هو السميع العليم.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وكما أنه كمل مراتب الصبر فقد كمل مراتب العدل والإحسان للرعية حين تولىٰ خزائن البلاد المصرية، وكمل مراتب العفو والكرم حين قال له إخوته: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩١-٩٢]؛ فارتقىٰ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلىٰ أعلىٰ مقامات الفضل والخير والصدق والكمال، ونشر الله له الثناء بين العالمين.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الفصل الرابع

(٩) ومنها: أن الإخلاص لله تعالىٰ أكبر الأسباب لحصول كل خير واندفاع كل شر، كما قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤]، وفي القراءة الأخرىٰ المخلصين، أي: الذين أخلصهم الله بخالصة ذكر الدار وهما متلازمتان، فأخلصهم لإخلاصهم له، فمن أخلص لله أخلصه وخلصه من الشرور، وعصمه من السوء والفحشاء.

(١٠) ومنها: ما دلت عليه القصة من العمل بالقرائن القوية من عدة وجوه:

* منها: حين ادعت امرأة العزيز أن يوسف راودها، وقال: هي راودتني عن نفسي؛ فشهد شاهد من أهلها؛ أي حكم حاكم بهذا الحكم الواضح، وكانت قد شقت قميص يوسف وقت مراودتها إياه: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [يوسف:٢٦]؛ لأنه يدل علىٰ إقباله عليها وأن المراودة صادرة منه، ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف:٢٧]؛ فكان هذا هو الواقع، لأنها تريده وهو يفر منها ويهرب عنها فقدت قميصه من خلفه، فتبين لهم أنها هي المراودة في تلك الحال؛ وبعد ذلك اعترفت اعترافًا تامًّا حيث قالت: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف:٥١-٥٢].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

* ومن العمل بالقرائن وجود الصواع في رحل أخيه، وحكمهم عليه بأحكام السرقة لهذه القرينة القوية.

(١١) **ومنها**: أنه ينبغي للعبد أن يبعد عن أسباب الفتن، ويهرب منها عند وقوعها، كما فعل يوسف حين راودته امرأة العزيز.

واعلم أن كثيرًا من المفسرين ذكروا في تفسير البرهان الذي رآه يوسف حين اعتصم عن الفاحشة إسرائيليات تنافي العقل والدين، وتنافي ما عليه الرسل من الكمال؛ حيث قال بعضهم: تبدىٰ له جبريل في الهوىٰ، أو تبدىٰ له يعقوب عاضًّا علىٰ إبهاميه أو ما أشبه ذلك من الأمور، التي لو حصلت علىٰ أفجر الناس لامتنع من فجوره، فكلها باطلة.

وكذلك من الأقوال الباطلة ما قاله بعضهم في قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف:٢٤]، أي: همَّ أن يضربها، وهذا تحريف ظاهر، وصاحب هذا القول أراد الفرار من الهم المعروف خشية أن يكون فيه نقص وتنقيص للأنبياء محذور في ذلك، فإن الهم والهوىٰ ونحوها إذا قاومه العبد وقدم عليه الخوف والإيمان فهو كمال، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وكما ثبت في الصحيح مرفوعًا: «**من هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله حسنة كاملة**»؛ فإنه إنما تركها من جرائي، أي: تركه لها لأجل الله خوفًا من عقابه ورجاء لثوابه من أكبر العبادات والله أعلم.

(١٢) ومنها: ما عليه يوسف صلوات الله عليه، من الجمال الظاهر الذي أخذ بلب امرأة العزيز وشغفها حبًّا، وحين رأته النسوة قطعن أيديهن وأكبرنه وقلن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:٣١]، ومن الجمال الباطن وهو العفة والإخلاص الكامل والصيانة.

(١٣) ومنها: أنه ينبغي للعبد أن يلتجئ إلىٰ الله عند خوف الوقوع في فتن المعاصي والذنوب، مع الصبر والاجتهاد في البعد عنها، كما فعل يوسف ودعا ربه قال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣]، وإن العبد لا حول له ولا قوة ولا عصمة إلا بالله، فالعبد مأمور بفعل المأمور وترك المحظور والصبر علىٰ المقدور مع الاستعانة بالملك الشكور.

*****

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الفصل الخامس

(١٤) **ومنها**: فضل الإيمان الكامل واليقين والطمأنينة بالله وبذكره؛ حيث اتصف بها يوسف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأوجبت له الثبات في أموره كلها والاشتغال فيما هو يصدره من وظائفه الحاضرة، وهو في أحواله وتنقلاته مطمئن القلب ثابت النفس ليس عنده قلق لبعده عن أبيه وأحبابه، مع ما يعلمه من شدة الشوق والحب المفرط بينه وبين والديه خصوصًا أبوه يعقوب، وهو يعلم المكان الذي هو فيه ويتمكن من مراسلته، ولكن اقتضت حكمة الله أن لا يحصل اللقاء إلا في تلك الحال التي اشتدت مشقتها وعظمت شدتها، فأعانه الله وأيده بروح منه، وهذا من أجلّ ثمرات الإيمان.

(١٥) **ومنها**: أنه لا بأس بالاستعانة بالمخلوق في الأمور العادية التي يقدر عليها بفعله أو قوله وإخباره، كما قال يوسف للذي ظن أنه ناج منهما: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢]، ومن كمال إخلاص يوسف وكمال خلقه أنه لم يعاتب هذا الذي وصّاه أن يذكره عند ربه فنسي، وجاءه يسأله عن رؤيا الملك فأجابه، ولم يعاتبه أو يعنفه أو يعامله بسوء خلق، وبحسن الخلق تحصل للعبد الحياة الطيبة العاجلة والآجلة.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

(١٦) **ومنها**: أن الإنسان إذا وجهت له تهمة هو بريء منها لا يلام علىٰ طلب الطرق والوسائل التي يحصل بها الوضوح والبيان العام للناس، كما فعل يوسف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع طول مكثه لما جاءه الرسول يستدعيه للحضور عند الملك، قال: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف:٥٠] إلىٰ آخر الآية؛ حيث بان لكل أحد براءته التامة التي لا شبهة فيها؛ فلم يخرج من السجن لمواجهة الملك إلا في حالة براءته وهيبته ورفعته وتعظيم منهم لعلمه وفضله ونزاهته عليه الصلاة والسلام.

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

الفصل السادس

(١٧) **ومن ذلك**: أن يوسف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمع لهم بين تعبير رؤيا الملك وبين ما ينبغي لهم أن يفعلوه ويدبروه في سنين الخصب، للاستعداد لسنين الجدب؛ وحين قال له الملك: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف:٥٤]، أي: تتمكن من أمور المملكة وتدابيرها، مفوض إليه الأمور لأمانته وكفاءته وكمال الثقة به، فالملك هو الذي ابتدأ توليته وتفويض الأمور إليه، وهو الذي اقترح أن يكون علىٰ خزائن الأرض وجبايتها وتصريفها لأجل عموم المصلحة، ولهذا قال: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥]، أي: أحفظ الحاصلات والغلات وأعلم كيفية تصريفها وتدبيرها، فحينئذ أعتني في سنين الخصب بالزروعات الهائلة وجباها في مخازنها، وفي سنبلها، وأجتهد في الاقتصاد في أكلهم أيام السنين الخصيبة لتتوفر الغلال ويكون لها النفع العام.

فحين جاءت السنون المجدبات وعم الجدب للأقطار المصرية وما جاورها من الأقطار، وفني ما عند الناس جعلوا يقصدون مصر من كل جهة، جعل يكيل لهم كيل العدل والاقتصاد بحسب الحاجة، لا يزيد كل واحد علىٰ حمل البعير خوفًا من ألا يحتاجه المحتكرون ويحصل الضرر علىٰ المحتاجين المعوزين.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ولهذا من جملة ما عالج إخوة يوسف أباهم لإرسال بنيامين معهم أن قالوا: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف:٦٥]، أي: إذا كان معنا حصل لنا زيادة كيل بعير لأن عائلة يعقوب كثيرون، يحتاجون إلىٰ ميرة كثيرة، فحصل لهذه الأعمال الجليلة علىٰ يد يوسف نفع للخلق عظيم، وإزالة ضرورات ودفع حاجات وتهوين للشدات والكربات.

(١٨) **ومنها**: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن الرسل، وقررتها هذه الشريعة لقول يوسف: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [يوسف:٥٩].

(١٩) **ومنها**: أن استعمال الأسباب الواقية من العين أو غيرها غير ممنوع بل جائز، أو مستحب بحسب حاله، وإن كانت جميع الأمور بقضاء الله وقدره، لكن الأسباب الواقية أو الدامغة من قضاء الله وقدره، بشرط أن يفعلها العبد وهو معتمد علىٰ مسببها، لأن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أراد أن يوصي بنيه لما أرسل بنيامين معهم، قال: ﴿يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يوسف:٦٧]، وأخبر تعالىٰ أنهم امتثلوا أمر أبيهم، وأن هذا الأمر لم يغن شيئًا إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو شفقة الوالد علىٰ أولاده، والشريعة جاءت بإثبات الأسباب النافعة الدينية والدنيوية، والحث عليها، مع الاستعانة بالله، كما ثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**احرص علىٰ ما ينفعك واستعن بالله**».

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

(٢٠) **ومنها:** جواز استعمال الحيل والمكايد التي يتوصل بها إلىٰ حق من الحقوق الواجبة والمستحبة أو الجائزة، كما استعمل يوسف ذلك مع أخيه؛ حيث وضع السقاية في رحل أخيه، ثم أذن مؤذن بعد رحيلهم: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ - إلىٰ قوله - ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف:٧٠-٧٦]؛ فعمل مع أخيه هذا العمل ليتوصل به إلىٰ بقائه عنده من غير شعور منهم.

فلما تقرر عندهم أنه هو الذي أخذ الصواع استفتاهم عن حكم السارق في دينهم فقالوا: ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ [يوسف:٧٥]، أي: جزاء السارق أن يتملكه المسروق منه؛ فحكموا علىٰ أنفسهم هذا الحكم الذي هو المقصود ليوسف، ولو أجرىٰ عليه حكم ملك مصر لكان له حكم آخر؛ فيسر الله هذا العمل وهذا الحكم ليبقىٰ أخوه عنده.

فالحيل التي علىٰ هذا النوع لا حرج فيها، وإنما المحرم الحيل والمكايد التي يتوصل بها إلىٰ إحلال المحرمات أو إسقاط الواجبات.

(٢١) **ومنها:** استعمال المعاريض عند الحاجة إليها؛ فإن في المعاريض مندوحة عن الكذب، **وذلك من وجوه:**

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

منها: قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ [يوسف:٧٦] ولم يقل سرقها.

وكذلك قوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف:٧٩]، ولم يقل: (من سرق متاعنا).

وإذا قيل: إن هذا اتهام للبريء.

قيل: إنما فعل ذلك بإذن أخيه ورضاه؛ وإذا رضي زال المحذور.

(٢٢) ومنها: أن الإنسان لا يحل له أن يشهد إلا بما يعلم لقولهم: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ [يوسف:٨١]، وإن العلم يحصل بإقرار الإنسان علىٰ نفسه، وبوجود المسروق ونحوه معه وفي يده أو رحله.

(٢٣) وفيها: أن وجود المسروق بيد السارق بينة وقرينة علىٰ أنه السارق، ولذلك حكم وحكموا علىٰ أخي يوسف بحكم السارق.

(٢٤) ومنها: هذه المحنة العظيمة التي امتحن الله بها نبيه وصفيه يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حيث قضىٰ بالفراق بينه وبين يوسف هذه المدة الطويلة التي يغلب علىٰ الظن أنها تبلغ ثلاثين سنة فأكثر، من ذلك أنه بقي مدة في بيت العزيز قبل السجن في الإمكان أن تكون من سبع السنين إلىٰ العشر أو نحو ذلك، علىٰ وجه الحرص والحزر، ثم مكث بضع سنين في السجن، والأكثر أنها سبع سنين.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ثم بعد خروجه دخلت السبع السنين المخصبات، فهذه نحو إحدىٰ وعشرين سنة، ثم دخلت السبع المجدبات وتردد إخوة يوسف إليه مرات، والظاهر أن اللقاء كان في آخرها، فهذه تقارب الثلاثين ونحوها.

وهو في هذه المدة لم يفارق الحزن قلبه، وهو دائم البكاء حتىٰ ابيضت عيناه من الحزن وفقد بصره وهو صابر لأمر الله، محتسب الثواب عند الله، قد وعد من نفسه الصبر، ولا شك أنه وفىٰ بذلك، ولا ينافي ذلك قوله: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦]؛ فإن الشكوىٰ إلىٰ الله لا تنافي الصبر، وإنما ينافي الصبر الشكوىٰ إلىٰ المخلوق.

(٢٥) ومنها: إن الفرج مع الكرب؛ فإنه لما اشتد الكرب بيعقوب وقال: يا أسفىٰ علىٰ يوسف، قال: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]، وهم حين دخلوا علىٰ يوسف وقفوا بين يديه موقف المضطر، فقالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ﴾، أي: قليلة حقيرة لا تقع الموقع، ﴿فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف:٨٨]؛ فحينئذ لما بلغ الضر منتهاه من كل وجه، عرفهم بنفسه، فحصل بذلك البشارة الكبرىٰ لأبويه وإخوته وأهلهم، وزال عنهم الضر والبأساء، وخلفه السرور والفرح والرخاء.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

(٢٦) **ومنها**: أن الله يبتلي أنبياءه وأصفياءه بالشدة والرخاء، والسرور والحزن، واليسر والعسر، ليستخرج منهم عبوديته في الحالين بالشكر عند الرخاء والصبر عند الشدة والبلاء، فتتم عليهم بذلك النعماء كما ابتلىٰ يعقوب ويوسف، وكذلك غيرهم من أنبيائه وأصفيائه.

(٢٧) **ومنها**: جواز إخبار الإنسان بما يجد، وما هو فيه من مرض أو فقر أو غيرهما علىٰ غير وجه التسخط، لقول إخوة يوسف: ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾، وأقرهم يوسف علىٰ ذلك.

(٢٨) **ومنها**: فضيلة التقوىٰ والصبر، وأن كل خير في الدنيا والآخرة فمن آثارهما، وأن عاقبة أهلهما أحسن العواقب، لقوله: ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٩٠]، وإن إخبار العبد من نفسه بحصول التقوىٰ والصبر إذا كان صدقًا، وفي ذلك مصلحة من باب التحدث بنعمة الله. قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحىٰ:١١]، تشمل نعم الدنيا ونعم الدين، وأن الله يجمع للمتقين بين خير الدنيا والآخرة، كما في هذه الآية والآية السابقة وهي قوله: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يوسف:٥٦-٥٧].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وأنه ينبغي علىٰ العبد أن يتذكر في حال الرخاء والسرور حالة الحزن والشدة، ليزداد شكره وثناؤه علىٰ الله، ولهذا قال يوسف: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف:١٠٠].

(٢٩) ومنها: أنه ينبغي للعبد أن يتضرع إلىٰ الله دائمًا في تثبيت إيمانه، ويعمل الأسباب لذلك؛ يسأل الله حسن الخاتمة وتمام النعمة، ويتوسل بنعمه الحاصلة إلىٰ ربه أن يتمها عليه، ويحسن له العاقبة، كما قال يوسف صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١]، وليس هذا من يوسف تمنيًا للموت، كما ظنه بعضهم، بل هو دعاء لله أن يحسن خاتمته ويتوفاه علىٰ الإسلام، كما يسأل العبد ربه ذلك كل وقت.

(٣٠) ومنها: ما منَّ الله به علىٰ يوسف من حسن عفوه عن إخوته، وأنه عفا عما مضىٰ ووعد في المستقبل أن لا يثرب عليهم، ولا يذكر منه شيئًا لأنه يجرحهم ويحزنهم، وقد أبدوا الندامة التامة، ولأجل هذا قال: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾ [يوسف:١٠٠]، ولم يقل: من بعد أن نزغهم؛ بل أضاف الفعل إلىٰ الشيطان، الذي فرق بينه وبين إخوته، وهذا من كمال الفتوة وتمام المروءة.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

(٣١) ومنها: ما في هذه القصة العظيمة من البراهين علىٰ رسالة محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ حيث قصها علىٰ الوجه المطابق، وهو لم يقرأ من الكتب السابقة شيئًا، ولا جالس من له معرفة بها، ولا تعلم من أحد، إن هو إلا وحي أوحاه الله إليه، ولهذا قال: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَا﴾ [هود:٤٩]، كما ذكر الله هذا المعنىٰ في قصته وغيره من الأنبياء، لأن الغيوب نوعان: أمور سابقة قد اندرس علمها نبأه الله بها، وأمور مستقبلة قد نبأه الله بها قبل أن تقع، فوقعت، ولا تزال تقع شيئًا بعد شيء مطابقة لما أخبر به صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في كتاب الله وفي سنة رسوله، وكلها براهين علىٰ رسالته.

*****

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الفصل السابع

(٣٢) وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف:٥٣] دليل علىٰ أن هذا وصف النفس من حيث هي، وأنها لا تخرج عن هذا الوصف إلا برحمة من الله وعناية منه، لأن النفس ظالمة جاهلة، والظلم والجهل لا يأتي منهما إلا كل شر، فإن رحم الله العبد ومن عليه بالعلم النافع وسلوك طريق العدل في أخلاقه وأعماله خرجت نفسه من هذا الوصف، وصارت مطمئنة إلىٰ طاعة الله وذكره، ولم تأمر صاحبها إلا بالخير، ويكون مآلها إلىٰ فضل الله وثوابه.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر:٢٧-٣٠]؛ فعلىٰ العبد أن يسعىٰ في إصلاح نفسه وإخراجها من هذا الوصف المذموم، وهو أنها أمارة بالسوء، وذلك بالاجتهاد وتخلقها بأحسن الأخلاق وسؤال الله علىٰ الدوام، وأن يكثر من الدعاء المأثور: «**اللهم اهدني لأحسن الأعمال والأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئ الأعمال والأخلاق، لا يصرف عني سيئها إلا أنت**».

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

(٣٣) وفي تضاعيف القصة: فضيلة العلم من وجوه كثيرة، وبيان أنه سبب الرفعة في الدنيا والآخرة، وسبب صلاح الدين والدنيا؛ فيوسف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ينل ما نال إلا بالعلم.

ولهذا قال له أبوه: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:٦] وامتن عليه وقت مكثه عند عزيز مصر بالتجرد للعلم، وحاز مقام الإحسان بالعلم، وخرج من السجن في حال العز والكرامة بالعلم، وتمكن عند ملك مصر واستخلصه لنفسه حين كلمه وعرف ما عنده من العلم ودبر أحوال الخلق في الممالك المصرية بإصلاح دنياهم وحسن تدبيره في حفظ خزائن الأرض وتصريفها وتوزيعها بالعلم، وعند نهاية أمره توسل إلىٰ ربه أن يتولاه في الدنيا بالعلم، حيث قال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١]؛ ففضائل العلم وثمراته الجليلة العاجلة والآجلة لا تعد ولا تحصىٰ.

(٣٤) وفيها: أن شفاء الأمراض، كما يكون بالأدوية الحسية يكون بأسباب ربانية؛ بل يحصل بهذا النوع من أنواع الشفاء ما لا يحصل بغيره؛ فيعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ قد ابيضت عيناه من الحزن وذهب بصره، فجعل الله شفاءه وإبصاره بقميص يوسف حين ألقاه علىٰ وجهه، فارتد بصيرًا لما كان فيه من رائحة يوسف الذي كان داء عينيه من حزنه عليه، فصار شفاؤه الوحيد مع لطف الله في قميص جسده.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ومن قال: إن القميص من الجنة فليس عنده بذلك دليل، والله قادر علىٰ أن يشفيه من دون سبب، ولكنه حكيم، جعل الأمور تجري بأسباب ونظامات قد تهتدي العقول إلىٰ معرفتها وقد لا تهتدي.

ونظير ذلك أيوب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وصل به المرض والضر إلىٰ حالة تعذر منها الشفاء وأعيت الأطباء، فحيث أراد الله شفاءه أمره أن يركض برجله الأرض فأنبع له عينًا باردة وأمره أن يشرب منها ويغتسل، فأذهب الله ما في باطنه وظاهره من هذا الضرر، وعاد كأحسن ما أنت راء، قال تعالىٰ: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص:٤٢]؛ فهو تعالىٰ يشفي العباد بأدوية وأسباب حسية وبأسباب ربانية معنوية: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:١٧].

كما أنه تعالىٰ يوجد الأشياء بأسباب حسية معلومة وبأسباب ربانية لا تهتدي العقول إليها، كما في معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء وآياته النفسية والكونية، وهو المحمود علىٰ هذا وعلىٰ هذا.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

(٣٥) ومنها: جواز سؤال الخلق، خصوصًا الملوك عند الضرورة لقول إخوة يوسف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف:٨٨]؛ فإنهم سألوا المحاباة في المعاملة والصدقة بدون عوض، وإنما قلت: خصوصًا الملوك؛ لأن الملوك لا يسألون من أموالهم الخاصة، وإنما يسألون من بيت المال الذي هو للمصالح العمومية، وأهم المصالح دفع ضرورة المضطرين.

(٣٦) ومن فوائد القصة: أن الجهل -كما يطلق علىٰ عدم العلم- فإنه يطلق علىٰ عدم الحلم، وعلىٰ ارتكاب الذنب، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣]، وقوله: ﴿هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف:٨٩]، ليس المعنىٰ في ذلك: عدم العلم، وإنما هو عدم العمل به، واقتحام الذنوب، ومنه قول موسىٰ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ [النساء:١٧]، وكل من عصىٰ الله فهو جاهل باعتبار عدم العمل بالعلم، لأن العلم الحقيقي ما زال الجهل به وأوجب العمل.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

(٣٧) ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ [يوسف:٧٢]، استدل به علىٰ ثلاثة أبواب من أبواب العلم: باب الجعالة، وباب الضمان، وباب الكفالة؛ لأن قوله: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من نوع الجعالة، وهو أن يجعل شيئًا معلومًا أو مقاربًا للمعلوم كحمل البعير، لأنه متعارف لمن يعمل له عملًا معلومًا وعملًا مجهولًا وهي جائزة لما فيها من مصلحة الجاعل والعامل، وقوله: ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ [يوسف:٧٢]، أي: ضامن وكفيل، وهي من عقود التوثقة بالحقوق التي يتم بها توسيع المعاملات وإصلاحها.

(٣٨) ومنها: أن العمل بالشريعة فيه إصلاح الأرض والبلاد، واستقامة الأمور؛ والعمل بالمعاصي من سرقة وغيرها فيها فساد ذلك؛ لقولهم: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ﴾ [يوسف:٧٣]، وكم في القرآن من التصريح أن العمل بالمعاصي ومخالفة الرسل فساد للأرض، ومتابعة الرسل هو الصلاح المطلق، صلاح الدين والدنيا.

(٣٩) ومنها: الدلالة علىٰ الأصل الكبير الذي أعاده الله وأبداه في كتابه: أن لكل نفس ما كسبت من الخير والثواب، وعليها ما اكتسبت من الشر والعقاب، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرىٰ، لقوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ﴾ [يوسف:٧٩].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

(٤٠) **ومنها**: الحث علىٰ فعل الأسباب الجالبة للخيرات والحافظة من الكريهات؛ وفي القصة مواضع تدل علىٰ هذا الأصل الكبير؛ وتمام ذلك أن يقوم بالأسباب مستعينًا بالله، واثقًا به؛ وقد عمل يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الأسباب التي يقدر عليها في استحفاظ أولاده ليوسف، ثم لأخيه حين أرسله معهم، وقال مع ذلك: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤]، وكذلك علىٰ العبد إذا همته المصائب وحلت به النكبات عليه أن يصبر ويستعين بالله علىٰ ذلك.

قال يعقوب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين عمل إخوة يوسف ما عملوا بيوسف، وحلت به المصيبة الكبرىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨]، وذلك أن الصبر علىٰ الطاعات، والصبر عن المحرمات، والصبر علىٰ المصيبات؛ لا يتم وينجح صاحبه إلا الاستعانة بالله، وأن لا يتكل العبد علىٰ نفسه، قال يوسف: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣].

*****

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الفصل الثامن

(٤١) ومن فوائد القصة: الإرشاد إلىٰ طريق نافع من طرق الجدال والمقابلة بين الحق والباطل، وهو بيان ما في الحق من الخير والمنافع العاجلة والآجلة، وما في الباطل من ضد ذلك.

قال تعالىٰ في دعوة يوسف للتوحيد: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩]؛ فذكر ما في الشرك من القبح وسوء الحال واتباع الظنون الباطلة، وأن كل طائفة من الشرك لهم معبود، إما نار أو صنم أو قبر أو ميت، أو غير ذلك من المعبودات المتفرقة التي لا تملك لنفسها ولا لأهلها نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا. وكل طائفة تضلل الأخرىٰ، وكلهم ضالون هالكون.

فهل هذه الأرباب والمعبودات خير أم الله الواحد القهار؟

فذكر له ثلاثة أوصاف عامة عظيمة:

١- أنه الله الذي له الأسماء والصفات العليا، ومنه النعم كلها وبذلك استحق أن يكون الله المألوه، إله أهل الأرض وأهل السماء، وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله.

٢- وأنه الواحد المتفرد بكل صفة كمال، المتوحد بنعوت الجلال والجمال، الذي لا شريك له في شيء من الأفعال.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٣- وأنه القهار لكل شيء؛ فجميع العالم العلوي والسفلي كلهم مقهورون بقدرته، خاضعون لعظمته، متذللون لعزته وجبروته، فمن هذه صفاته العظيمة هو الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده، لا شريك له.

(٤٢) ومنها: أن الدين المستقيم، الذي عليه جميع الرسل وأتباعهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، لقوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [يوسف:٤٠]؛ فهو الدين المستقيم، المقيم للعقائد والأخلاق والأعمال، الذي لا تستقيم أمور الدين والدنيا إلا به.

(٤٣) ومنها: وجوب الاعتراف بنعم الله الدينية والدنيوية، لقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا﴾ [يوسف:٣٨]؛ فهو الذي من بالعافية والرزق وتوابع ذلك، وهو الذي من بنعمة الإسلام والإيمان والطاعة وتوابع ذلك، فعلىٰ العبد أن يعترف بها بقلبه، ويتحدث بها ويستعين بها علىٰ طاعة المنعم.

(٤٤) ومنها: أن الإحسان في عبادة الله والإحسان إلىٰ العباد سبب ينال به العلم وتنال به خيرات الدنيا والآخرة؛ لقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٢٢]، وقوله: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يوسف:٥٦-٥٧]؛ فجعل الله الإحسان سببًا لنيل هذه المراتب العالية.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

(٤٥) ومنها: أن النظر إلىٰ الغايات المحبوبة يهون المشاق المعترضة في وسائلها، فمتىٰ علم العبد عاقبة الأمر وما يؤول إليه من خير الدنيا والآخرة هانت عليه المشقة، وتسلىٰ بالغاية، لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف:١٥]؛ فأوحىٰ إلىٰ يوسف في هذه الحال المزعجة أن الأمر سيكون إلىٰ خير وسعة، وبعد هذه الإهانة الصادرة من إخوتك لك ستكون لك الأثرة عليهم والعاقبة الحميدة؛ وفي هذا من اللطف والتسلية وتخفيف البلاء ما هو من أعظم نعم الله علىٰ العبد.

ولهذا المعنىٰ الجليل يذكر الله عباده عند المشاق والأمور المزعجة ما يترتب علىٰ ذلك من الثواب والخير والطمع في فضله، قال تعالىٰ: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء:١٠٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [يوسف:١٥]، دليل علىٰ رجوعهم كلهم إلىٰ رأي من قال: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [يوسف:١٠]؛ كما أن قوله: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ [يوسف:٣٣-٣٤]؛ دليل علىٰ أن النسوة ساعدن امرأة العزيز علىٰ يوسف، وجعلن يغرينه بهذا العمل، فبعد ما رأين من جمال يوسف الباهر ما رأين أصبحن لامرأة العزيز مساعدات بعد أن كن قبل ذلك عاتبات عليها بقولهن: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف:٣٠].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

(٤٦) **ومنها**: أن العقود بما يدل عليها من قول وفعل، لا فرق بين عقود التبرعات وعقود المعاوضات، لأن يوسف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ملك إخوته بضاعتهم التي اشتروا بها ميرتهم من حيث لا يشعرون، ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم في رحالهم، الآية، وذلك من دون إيجاب وقبول قولي، لأن الفعل والرضىٰ يدل علىٰ ذلك.

*****

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الفصل التاسع

(٤٧) **إذا قيل**: كيف خفي موضع يوسف علىٰ يعقوب وما بينه وبينه إلا مسافة قليلة مع طول المدة، وقوة الداعي الملح، وعلمه أنه علىٰ الوجود، وحرصه الشديد علىٰ لقياه؟

فالجواب: ليس ذلك بغريب علىٰ قدرة الله، فإن الأسباب، وإن قويت جدًّا، لا خروج لها عن قضاء الله وقدره؛ فإن الله تعالىٰ أراد ألا يحصل الاجتماع إلا في الوقت الذي أجله والحالة التي أرادها، لما له في ذلك من الحكم العظيمة، ومتىٰ أراد الله شيئًا في وقت مخصوص قدر من الأسباب الحسية أو المعنوية ما يمنع حصوله قبل ميقاته، كما يقدر من الأسباب ما يحصل به ما أراد؛ فالأسباب بيد العزيز الحكيم.

وليس هذا بأغرب من قضية بني إسرائيل في التيه، وهم أمة عظيمة، والتيه مسافة قصيرة، وهم بين أظهري قرىٰ ومدن كثيرة، والمدة أربعون سنة، لم يهتدوا طريقًا إلىٰ مقصدهم، ولم يتيسر لهم من يرشدهم إلىٰ قصدهم.

وكذلك أصحاب الكهف مكثوا في كهفهم ثلاثمائة وتسع سنين وهم في غار قريب من مدينة عظيمة لم يصل إليهم أحد في هذه المدة الطويلة لأمر يريده الله.

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

فهذه الأمور وما أشبهها دليل علىٰ كمال قدرة الله وحكمته، مع أن يوسف صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بقي مدة الله علم بها وهو في بيت العزيز، ثم مدة وهو في السجن، ثم ترقىٰ إلىٰ تدبير الملك، ومتىٰ يخطر ببال أحد أن ينتقل من الرق والسجن إلىٰ الملك العظيم؟

ثم إنه وقت توليه يغلب علىٰ الظن أنه اشتهر عند الناس باسم المنصب والوزير للملك، ولا يكاد أحد يعرف اسمه، كما هو الغالب علىٰ الملوك وأشباههم، ولهذا تردد إخوته عليه فعرفهم وهم لا يعرفونه، لما هو فيه من بهجة الولاية؛ وأيضًا قد فارقوه وهو صغير ولم يروه إلا بعد ما كبر، ومعلوم أن أوصاف الإنسان تتغير إذا وصل إلىٰ سن الكهولة، والله أعلم، هذا من جهة يعقوب وأولاده.

أما من جهة يوسف فإنه قد علم وقصد التأخير ليبلغ الكتاب أجله، ولهذا تردد عليه إخوته وقد عرفهم ولم يعرفهم بنفسه، ولم يستدع بأبويه وأهله إلا في نهاية الأمر.

*****

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الفصل العاشر

(٤٨) قوله تعالىٰ عن يعقوب - في أول ما صنع أبناؤه بأخيهم يوسف -: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨]، وقوله عندما اشتد به الأمر، حين احتبس الابن الآخر: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف:٨٣]، في هذا دليل علىٰ أن أصفياء الله إذا نزلت بهم الكوارث والمصيبات قابلوها في أول الأمر بالصبر والاستعانة بالمولىٰ، وعند ما ينتهي وتبلغ الشدة منتهاها، يقابلونها بالصبر والطمع في الفرج والرجاء فيوفقهم الله للقيام بعبوديته في الحالتين؛ ثم إذا كشف عنهم البلاء قابلوا ذلك بالشكر والثناء علىٰ الله وزيادة المعرفة بلطفه، لقول يوسف: ﴿يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف:١٠٠].

(٤٩) ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ ۖ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾ [يوسف:٧٩]، يدل علىٰ أنه لا تزر وازرة وزر أخرىٰ؛ ويؤخذ منه مسألة دقيقة، وهو أن الإحسان إنما يكون إحسانًا إذا لم يتضمن فعل محرم أو ترك واجب، فإنهم طلبوا من يوسف أن يحسن إليهم بترك هذا الأخ أن يذهب إلىٰ أبيه ويأخذ أحدهم بدله؛ فامتنع وقال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ ۖ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾ [يوسف:٧٩].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

؛ فالإحسان إذا تضمن ترك العدل كان ظلمًا، ولهذا كان تخصيص بعض الأولاد علىٰ بعض، وبعض الزوجات علىٰ بعض -وإن كان إحسانًا إلىٰ المخصص والمفضل- لا يجوز لأنه ترك للعدل، وكذلك ما أشبه ذلك، والله أعلم.

(٥٠) **ومنها**: أن آيات الله أيما ينتفع بها السائل المستهدي الذي قصده معرفة الحق واتباعه، لقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف:٧]، أما الغافلون المعرضون أو المعارضون المعاندون فإنه يصدق عليهم قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس:٩٦-٩٧]؛ فالنظر في آيات الله المتلوة وآيات الله الكونية تنفع من قصده الحق، كما قال تعالىٰ: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة:١٦].

وكم في القرآن تقييد الانتفاع بهذا القيد؟ مثل: إن في ذلك لآيات للمؤمنين، لآيات للموقنين، لآيات لأولي الألباب، لأولي الألباب والأبصار.

(٥١) **ومنها**: أن المشاورة نافعة في كل شيء حتىٰ في تخفيف الشر، لهذا تشاور إخوة يوسف فيما يعملون به: قتل أو طرح في الأرض، ثم قرّ رأيهم علىٰ رأي من أشار عليهم بإلقائه في الجب ليلتقطه بعض السيارة؛ ففيه شاهد للقاعدة المشهورة: **(ارتكاب أخف المفسدتين أولىٰ من أغلظهما)**.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ولما قرّ القرار علىٰ أخذ من وجد الصواع في رحله وعالجوا يوسف علىٰ أخذ بدله لأجل ما يعلمون من مشقة أبيهم فامتنع خلصوا نجيًّا يتشاورون فقر رأيهم علىٰ رأي كبيرهم أن يبقىٰ هو في مصر يلاحظ مسألة أخيه وهم يذهبون يميرون أهلهم ويخبرون أباهم بالقضية وتفصيلها.

ولا شك أن بقاءه في مصر أهون علىٰ يعقوب وأرجىٰ لتحصيل المطلوب، وفيه نوع مواساة منه بأخويه يوسف وبنيامين، ولهذا قال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف:٨٣].

*****

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الفصل الحادي عشر

(٥٢) إنما لم يصدق يعقوب بنيه حين قالوا: أكله الذئب، وعملوا تلك القرائن المبررة لقولهم لأن المعلوم لا يعارضه الشك والوهم، فإنه قد علم برؤيا يوسف، وربما بغيرها ما يؤول إليه حال يوسف من تمام النعمة التي تشمله وتشمل آل يعقوب؛ وفيها أيضًا: أنه لا ينبغي أن يغتر بمجرد صورة القرائن.

ولما أتىٰ إلىٰ شريح امرأة مع خصمها أرسلت عينيها بالبكاء فقال لشريح بعض الحاضرين: ما أظن البائسة إلا مظلومة، فقال شريح: ألم تسمع قصة إخوة يوسف إذ أتوا أباهم عشاء يبكون، هل كانوا مظلومين أو ظالمين؟ فكم حصل بمثل هذه التمويهات من الاغترار وقلب الحقائق؛ لهذا كان الأذكياء يجعلون كل احتمال علىٰ بالهم، وينظرون إلىٰ الأمور من جميع جهاتها ونواحيها.

(٥٣) وتدل القصة: علىٰ أن الولايات الكبار والصغار لا بد لمتوليها أن يكون كفوًا في قوته وأمانته وعلمه بأمور الولاية، لأن الملك لما كلم يوسف ورأىٰ من علمه وخبرته بالأمور وحسن نظره استخلصه لنفسه، وقال: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف:٥٤] وقال يوسف: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فعلل ذلك بكمال حفظه لما تحت يده وتصرفه، وكمال علمه بوجوه المستخرج والمنصرف، وحسن التدبير، وليس في هذا طلب الولاية ابتداء كما قاله كثير من أهل العلم، بل إنه لما رأى الملك استخلصه ومكنه من الأمور، وأن الأمور كلها تحت طوعه وتدبيره، طلب من الملك تولي خزائن الأرض فقط لأنها أهم، ولأنه يعلم أن ولايته لها أنفع للملك وللخلق، وهذا من كمال نصحه وصدق نظره.

*****

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الفصل الثاني عشر

(٥٤) لما قص الله تعالىٰ علينا هذه القصة العجيبة بتفاصيلها قال في آخرها: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف:١١١]؛ فنفىٰ عن هذا القرآن الكذب والخطأ من جميع الوجوه، **ووصفه بثلاث صفات، كل واحدة منها فيها أكبر برهان علىٰ أنه من عند الله، وأنه الحق الذي لا ريب فيه:**

الصفة الأولىٰ: أنه تصديق الذي بين يديه، أي: من الكتب المنزلة من السماء، ومن كلام الرسل المعصومين الذي أوحىٰ الله إليهم، كما قال تعالىٰ: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:٣٧]؛ فهذا القرآن الذي جاء به محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جاء بالحق وهو الصدق في إخباره عن الله وعن ملائكته وعن اليوم الآخر، وعن جميع الغيوب السابقة واللاحقة، العدل في أحكامه، فلا يأمر إلا بخير ولا ينهىٰ إلا عن الشر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥]، صدقًا في أخبارها، عدلًا في أحكامها وأوامرها ونواهيها، وأيضًا: فإن هذا القرآن صدق جميع ما جاءت به الرسل وهيمن عليها، واتفق منها علىٰ الأصول العظيمة والشرائع الكبار العامة الشاملة؛ وأيضًا: فإن الرسل أخبروا وبشروا بمحمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبما جاء به محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فصدق مخبرها وحقت بشارتها.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الصفة الثانية: أنه تفصيل لكل شيء، وهذا شامل لجميع ما يحتاجه الخلق في عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة، وفي دينهم ودنياهم، فقد شرح الله به وفصل التوحيد والرسالة والجزاء، وجميع العقائد الصادقة الصحيحة شرحًا وتفصيلًا عظيمًا لا يساويه في ذلك أي كتاب كان.

وفصل فيه الحث علىٰ حقائق الإيمان، وعلىٰ التخلق بالأخلاق الجميلة والتنزه من الأخلاق الرذيلة، وبين الطريق والأسباب التي يحصل حسنها والتي يدفع به سيئها؛ كما فصل الشرائع الظاهرة والأعمال الصالحة والحلال والحرام والخير والشر، وفصل فيه جميع المقاصد والغايات النافعة، الدينية والدنيوية؛ وفصل ما يتوصل به إليها؛ وفصل فيه البراهين العقلية، كما فصل فيه البراهين السمعية.

الصفة الثالثة: أنه هدىٰ ورحمة لقوم يؤمنون؛ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩]، أي: لكل حالة قويمة وطريقة مستقيمة؛ يهدي لأحسن الأعمال والأخلاق، ويهدي لمصالح الدين كلها، ومنافع الدنيا التي بها يقوم الدين وتتم السعادة.

والفرق بين الهدىٰ والرحمة: أن الهدىٰ: هو الوسائل والطرق الموصلة إلىٰ خيرات الدنيا والآخرة، والرحمة: هي نفس الخيرات والثواب العاجل والآجل.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فسعادة الدنيا والآخرة متوقفة علىٰ اتباع هذا القرآن علمًا وعملًا، وخص الله المؤمنين بالهدىٰ والرحمة لأنهم هم المنتفعون علىٰ الحقيقة، وبإيمانهم اهتدوا وزادهم الله هدىٰ ورحمة؛ فهذا القرآن بصائر للناس كلهم، بصرهم جميع ما يحتاجون إليه، فلم يبق خير إلا دلهم عليه، ولا شر إلا حذرهم منه، فقامت به الحجة علىٰ كل أحد ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٥٢].

اللهم تفضل علينا بالإيمان الصادق، واجعل هذا القرآن لنا هدىٰ ورحمة، إنك أنت القريب المجيب، وصلىٰ الله علىٰ محمد وسلم.

قال ذلك وكتبه: العبد الفقير إلىٰ الله، عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين آمين. وافق الفراغ منه في صفر سنة ١٣٧٥ هجرية.

*****

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الخلاصة
في أصول الفقه

تأليف

أ. د. خالد بن علي المشيقح حفظه الله

أستاذ الفقه في كلية الشريعة بجامعة القصيم

تنبيه:

متن (الخلاصة في أصول الفقه) هو كتاب مطبوع وسوف يوزع على طلاب الدورة

التذكرة
في علوم الحديث

ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي الشافعي المصري
(٧٢٣-٨٠٤هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أحمد علىٰ نعمائه، وأشكره علىٰ آلائه، وأصلي علىٰ أشرف الخلق محمد وآله، وأسلم. **وبعد**:

فهذه تذكرة في علوم الحديث، يتنبه بها المبتدي، ويتبصر بها المنتهي، اقتضبتها من "المقنع" تأليفي.

وإلىٰ الله أرغب في النفع بها، إنه بيده، والقادر عليه.

أقسام الحديث ثلاثة:

صحيح، وحسن، وضعيف.

أ- فالصحيح: ما سلم من الطعن في إسناده ومتنه.

ومنه المتفق عليه، وهو ما أودعه الشيخان في "صحيحيهما".

ب- والحسن: ما كان إسناده دون الأول في الحفظ والإتقان.

ويعمّه والذي قبله اسم الخبر القوي.

ج- والضعيف: ما ليس واحدًا منهما.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وأنواعه زائدة على الثمانين:

١- المسند: وهو ما اتصل إسناده إلىٰ النبي، ويسمىٰ موصولًا أيضًا.

٢- والمتصل: وهو ما اتصل إسناده مرفوعًا كان أو موقوفًا، ويسمىٰ موصولًا أيضًا.

٣- والمرفوع: وهو ما أضيف إلىٰ النبي خاصة، متصلًا كان أو غيره.

٤- والموقوف وهو المروي عن الصحابة قولًا أو فعلًا أو نحوه، متصلًا كان أو منقطعًا. ويستعمل في غيرهم مقيدًا، فيقال: "وقفه فلان علىٰ عطاء مثلًا، ونحوه"

٥- والمقطوع: وهو الموقوف علىٰ التابعي قولًا أو فعلًا.

٦- والمنقطع: وهو ما لم يتصل إسناده من أي وجه كان.

٧- والمرسل: وهو قول التابعي -وإن لم يكن كبيرًا-: «قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم...».

٨- ومنه ما خفي إرساله.

٩- والمعضل: وهو ما سقط من إسناده اثنان فأكثر. ويسمىٰ منقطعًا أيضًا. فكل معضل منقطع، ولا عكس.

١٠- والمعلق: هو ما حذف من مبتدأ إسناده واحد فأكثر.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

١١- والمعنعن: وهو ما أتي فيه بلفظة "عن"، كـ "فلان عن فلان"، وهو متصل إن لم يكن تدليس، وأمكن اللقاء.

١٢- والتدليس: وهو مكروه لأنه يوهم اللقاء والمعاصرة، بقوله: ((قال فلان...)) وهو في الشيوخ أخف.

١٣- والشاذ: وهو ما روىٰ الثقة مخالفًا لرواية الثقات.

١٤- والمنكر: وهو ما تفرد به واحد غير متقن ولا مشهور بالحفظ.

١٥- والفرد: وهو ما تفرد به واحد عن جميع الرواة، أو جهة خاصة، كقولهم: ((تفرد به أهل مكة))، ونحوه.

١٦- والغريب: وهو ما تفرد به واحد عن الزهري وشبهه ممن يجمع حديثه.

١٧- فإن انفرد اثنان أو ثلاثة، سمي عزيزًا.

١٨- فإن رواه جماعة سمي مشهورًا.

١٩- ومنه المتواتر: وهو خبر جماعة يفيد بنفسه العلم بصدقه.

٢٠- والمستفيض: وهو ما زاد رواته في كل مرتبة علىٰ ثلاثة.

٢١- والمعلل: وهو ما اطلع فيه علىٰ علة قادحة في صحته، مع السلامة عنها ظاهرًا.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٢٢- والمضطرب: وهو ما يروىٰ علىٰ أوجه مختلفة متساوية.

٢٣- والمدرج: وهو زيادة تقع في المتن ونحوه.

٢٤- والموضوع: وهو المختلق المصنوع. وقد يلقب بـ:

أ- المردود. ب- المتروك. ج- والباطل. د- والمفسد.

٢٥- والمقلوب: وهو إسناد الحديث إلىٰ غير راويه.

٢٦- والعالي: وهو فضيلة مرغوب فيها، ويحصل بالقرب من النبي ومن أحد الأئمة في الحديث، وبتقدم وفاة الراوي، والسماع.

٢٧- والنازل: وهو ضد العالي.

٢٨- والمختلف: وهو أن يأتي حديثان متعارضان في المعنىٰ ظاهرًا، فيوفق بينهما، أو يرجّح أحدهما علىٰ الآخر.

٢٩- والمصحَّف: وهو تغيير لفظ أو معنىٰ. وتارة يقع في المتن، وتارة في الإسناد. وفيه تصانيف.

٣٠- والمسلسل: وهو ما تتابع رجال إسناده علىٰ صفة أو حالة. وقل فيه الصحيح.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٣١- والاعتبار: وهو أن يروي حماد بن سلمة -مثلًا- حديثًا، لا يتابع عليه، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة.

٣٢- والمتابعة: أن يرويه عن أيوب غير حماد. وهي المتابعة التامة.

٣٣- والشاهد: أن يروىٰ حديث آخر بمعناه.

٣٤- وزيادة الثقات. والجمهور علىٰ قبولها.

٣٥- والمزيد في متصل الأسانيد: وهو أن يزاد في الإسناد رجل فأكثر غلطًا.

٣٦- وصفة الراوي: وهو العدل الضابط. ويدخل فيه معرفة الجرح والتعديل، وبيان سن السماع -وهو التمييز- ويحصل له في خمس غالبًا، وكيفية السماع والتحمل.

٣٧- وكتابة الحديث: وهو جائز إجماعًا. وتصرف الهمة إلىٰ ضبطه.

٣٨- وأقسام طرق الرواية: وهي ثمانية:

أ- السماع من لفظ الشيخ. ب- والقراءة عليه. ج- والإجازة بأنواعها. د- والمناولة. هـ- والمكاتبة. و-والإعلام. ز- والوصية. ح- والوجادة.

٣٩- وصفة الرواية وأدائها ويدخل فيه الرواية بالمعنىٰ، واختصار الحديث.

٤٠- وآداب المحدث وطالب الحديث.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٤١- ومعرفة غريبه ولغته، وتفسير معانيه، واستنباط أحكامه.

٤٢- وعزوه إلىٰ الصحابة والتابعين وأتباعهم.

٤٣- ويحتاج في ذلك إلىٰ معرفة الأحكام الخمسة، وهي:

أ- الوجوب. ب- والندب. ج- والتحريم. د- والكراهة. هـ- والإباحة.

ومتعلقاتها من:

أ- الخاص: وهو ما دلَّ علىٰ معنىٰ واحد.

ب- والعام: وهو ما دل علىٰ شيئين من جهة واحدة.

ج- والمطلق: وهو ما دل علىٰ معنىٰ واحد مع عدم تعيين في ولا شرط.

د- والمقيد: وهو ما دل علىٰ معنىٰ مع اشتراط آخر.

هـ- والمفصل: وهو ما عرف المراد من لفظه، ولم يفتقر في البيان إلىٰ غيره.

و- والمفسر: وهو ما لا يفهم المراد منه، ويفتقر إلىٰ غيره.

٤٤- والتراجيح بين الرواة من جهة كثرة العدد مع الاستواء في الحفظ، من جهة العدد أيضًا، مع التباين فيه. وغير ذلك.

٤٥- ومعرفة ناسخه ومنسوخه.

٤٦- ومعرفة الصحابة.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٤٧- وأتباعهم.

٤٨- ومن روىٰ من الأكابر عن الأصاغر؛ كرواية النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن تميم الداري والصِّدِّيق، وغيرهما.

ويلقب أيضًا برواية الفاضل عن المفضول، ورواية الشيخ عن التلميذ؛ كرواية الزهري، ويحيىٰ بن سعيد، وربيعة، وغيرهم، عن مالك.

٤٩- ورواية النظير عن النظير؛ كالثوري وأبي حنيفة عن مالك حديث: -الأيم أحق بنفسها من وليها-.

٥٠- ومعرفة رواية الآباء عن الأبناء: كرواية العباس عن ابنه الفضل، وعكسه. وكذا رواية الأم عن ولدها.

٥١- ومعرفة المُدَبَّجِ: وهو رواية الأقران بعضهم عن بعض. فإن روىٰ أحدهما عن الآخر، ولم يرو الآخر عنه، فغير مدبج.

٥٢- ومعرفة رواية الإخوة والأخوات، كعمر وزيد ابني الخطاب.

٥٣- ومن اشترك عنه في الرواية اثنان تباعد ما بين وفاتيهما؛ كالسراج، فإن البخاري روىٰ عنه، وكذا الخفّاف، وبين وفاتيهما مائة وسبع وثلاثون أو أكثر.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٥٤- ومن لم يرو عنه إلا واحد من الصحابة فمن بعدهم؛ كمحمد بن صفوان، لم يروِ عنه غير الشعبي.

٥٥- ومن عُرف بأسماء أو نعوت متعددة؛ كمحمد بن السائب الكلبي المفسر.

٥٦- ومعرفة الأسماء والكنىٰ والألقاب.

٥٧- ومعرفة مفردات ذلك، ومن اشتهر بالاسم دون الكنية، وعكسه.

٥٨- ومن وافق اسمه اسم أبيه.

٥٩- والمؤتلف والمختلف.

٦٠- والمتفق والمفترق.

٦١- وما تركب منهما.

٦٢- والمتشابه.

٦٣- والمنسوب إلىٰ غير أبيه: كبلال بن حِمامَةَ.

٦٤- والنسبة التي يسبق إلىٰ الفهم منها شيء، وهي بخلافه؛ كأبي مسعود البدري، فإنه نزلها، ولم يشهدها.

٦٥- والمبهمات.

٦٦- والتواريخ والوفيات.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٦٧- ومعرفة الثقات والضعفاء؛ ومن اختلف فيه، فيرجح بـ "الميزان".

٦٨- ومن اختلط في آخر عمره من الثقات، وخَرِف منهم. فمن روىٰ قَبْلَ ذلك عنهم قُبل، وإلا فلا.

٦٩- ومن احترقت كتبه أو ذهبت، فيرجع إلىٰ حفظه فساء.

٧٠- ومن حدث ونسي، ثم روىٰ عمن روىٰ عنه.

٧١- ومعرفة طبقات الرواة والعلماء.

٧٢- والموالي.

٧٣- والقبائل، والبلاد، والصناعة، والحلي.

آخر ((التذكرة)).

وهي عُجالة للمبتدي فيه، ومدخل للتأليف السالف المشار إليه أولًا، فإنه جامع لفوائد هذا العلم وشوارده، ومهماته، وفرائِده.

ولله الحمد علىٰ تيسيره وأمثاله.

قال مؤلفه رحمه الله: فرغتُ من تحرير هذه "التذكرة" في نحو ساعتين، من صبيحة يوم الجمعة، سابع عشرين جماد الأولىٰ، عام ثلاث وستين وسبع مائة، أحسن الله بعضها، وما بعدها في خير، آمين.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

كشف الشبهات

تأليف شيخ الإسْلام محمَّد بن عَبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ

(١١١٥ - ١٢٠٦هـ)

مُقَدِّمَةٌ فِي: بَيَانِ حَقِيقَةِ دِينِ المُرْسَلِينَ وَمَا دَعَوْا إِلَيْهِ وَحَقِيقَةِ دِينِ المُشْرِكِينَ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنَّ اَلتَّوحِيدَ هُوَ: إِفْرَادُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِالعِبَادَةِ، وَهُوَ دِينُ الرُّسُلِ الَّذِي أَرْسَلَهُم اللهُ بِهِ إِلَىٰ عِبَادِهِ، فَأَوَّلهُمْ نُوحٌ عليه السلام، أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَىٰ قَوْمِهِ لَمَّا غَلَوْا فِي الصَّالِحِينَ: وَدٍّ، وَسُوَاعَ، ويَغُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْرٍ.

وآَخِرُ الرُّسُلِ مَحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ الَّذِي كَسَّرَ صُوَرَ هَؤُلاءِ الصَّالِحِينَ، أَرْسَلهُ اللهُ إِلَىٰ أُنَاسٍ يَتَعَبَّدُونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيَذْكُرُونَ اللهَ كثيرا، وَلَكِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ تعالىٰ، يَقُولُونَ: نُرِيدُ مِنْهُم التَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَنُرِيدُ شَفَاعَتَهُمْ عِنْدَهُ، مِثْلَ الْملائِكَةِ وَعِيسَىٰ، وَمَرْيَمَ، وَأُنَاسٍ غَيْرِهِمْ مِن الصَّالِحِينَ.

فَبَعَثَ اللّهُ تَعَالَىٰ مُحَمَّدًا ﷺ يُجَدِّدُ لَهُمْ دِينَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ هَذَا التقَرُّبَ وَالاعْتِقَادَ مَحْضُ حَقِّ اللهِ تَعَالىٰ، لا يَصْلُحُ مِنْهُ شَيْءٌ لا لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، فَضَلًا عَنْ غَيْرِهِمَا. وَإِلاَّ فَهَؤُلاءِ اَلْمُشْرِكُونَ الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ لا يَرْزُقُ إِلاَّ هُوَ، وَلا يُحْيِي وَلا يُمِيتُ إِلاَّ هُوَ، وَلا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلاَّ هُوَ، وَأَنَّ جَميع اَلسَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِن كُلَّهُمْ عَبِيدُهُ، وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ وَقَهْرِهِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فَإِذَا أَرَدت اَلدَّلِيلَ عَلَىٰ أَنَّ هَؤُلاءِ الْمُشْرِكِينَ -الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ- يَشْهَدُونَ بِهَذَا فَاقْرَأْ قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١]، وَقَوْلَهُ: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون:٨٤ - ٨٩]، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ.

فإِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّهُمْ مُقِرُّونَ بِهَذَا، وَأَنَّهُ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي التَوْحِيدِ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَعَرَفْت أن التَّوحِيدَ -الَّذِي جَحَدُوهُ- هُوَ تَوْحِيدُ العِبَادَةِ، الَّذِي يُسَمِّيهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا الاعْتِقَادَ، كما كَانُوا يَدْعُونَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَيْلًا وَنَهَارًا: ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو اَلْمَلائِكَةَ لأَجْلِ صَلاحِهِمْ، وَقُرْبِهِمْ مِن اللهِ تعالىٰ؛ لِيَشْفَعُوا لَهُ، أَوْ يَدْعُو رَجُلًا صَالِحًا مِثْلَ اللاَّتِ أَوْ نَبِيًّا مِثْلَ عِيسَىٰ، وَعَرَفْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ عَلَىٰ هَذَا الشِّرْكِ وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ إِخْلاَصِ الْعِبَادَةِ لله، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾ [الرعد:١٤].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَتَحَقَّقْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ لِيكُونَ الدُّعَاءُ كُلُّهُ لله، وَالذَّبْحُ كُلُّهُ لله، وَالنَّذْرُ كُلُّهُ لله، وَالاسْتِغَاثَةُ كُلُّهَا بِاللهِ وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ كُلُّهَا لِلَّهِ، وَعَرَفْتَ أَنَّ إِقْرَارَهُمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، وَأَنَّ قَصْدَهُم الْمَلاَئِكَةَ، والأَنْبِيَاءَ، والأَوْلِيَاءَ يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ وَالتَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ بِذَلِكَ وهُوَ الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ عَرَفْتَ حِينَئِذٍ التَوْحِيدَ -الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأَبَىٰ عَنِ الإِقْرَارِ بِهِ الْمُشْرِكُونَ-. وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِكَ: (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ).

فَإِنَّ الإِلَهَ عِنْدَهُمْ هُوَ الَّذِي يُقْصَدُ لأَجْلِ هَذِهِ الأُمُورِ، سَوَاءً كَانَ مَلَكًا، أَوْ نَبِيًّا، أَوْ وَلِيًّا، أَوْ شَجَرَةً، أَوْ قَبْرًا، أَوْ جِنِّيًّا، لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ (الإِلَهَ) هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدبِّرُ، فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذلِكَ للهِ وَحْدَهُ كَمَا قَدَّمْتُ لَكَ، وَإِنَّمَا يَعْنُونَ بِـ (الإِلَهِ) مَا يَعْنِي الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا بِلَفْظِ (السَّيِّدِ)، فَأَتَاهُم النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَهِي: (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ).

والْمرَادُ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مَعْنَاهَا لاَ مُجَرَّدُ لَفْظِهَا.

وَالْكُفَّارُ الْجُهَّالُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ هُوَ إِفْرَادُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالتَعَلُّقِ، وَالْكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ لَهُمْ: «**قُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**»، قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ جُهَّالَ الْكُفَّارِ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ فَالْعَجَبُ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ وَهُوَ لا يَعْرِفُ مِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مَا عَرَف جُهَّالُ الْكُفَّارِ؛ بَلْ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّلَفُّظُ بِحُرُوفِهَا مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ الْقَلْبِ لِشَيءٍ مِنَ الْمَعَانِي، وَالْحَاذِقُ مِنْهُمْ يَظُنُّ أَنَّ مَعْنَاهَا: لا يَخْلُقُ، وَلا يَرْزُقُ، وَلا يُدَبِّرُ الأمر إِلاَّ اللهُ.

فَلا خَيْرَ فِي رَجُلٍ جُهَّالُ الْكُفَّارِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِمَعْنىٰ: (لا إِلَهَ إِلا اللهُ).

إِذَا عَرَفْتَ مَا قُلْتُ لَكَ مَعْرِفَةَ قَلْبٍ، وَعَرَفْتَ الشِّرْكَ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨]، وَعَرَفْتَ دِينَ اللهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ الرُّسُلَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَىٰ آخِرِهِمْ، الَّذِي لا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ سِوَاهُ، وَعَرَفْتَ مَا أَصْبَحَ غَالِبَ النَّاسِ فيه مِنَ الْجَهْلِ بِهَذَا؛ **أَفَادَكَ فَائِدَتَيْنِ:**

الأُولَىٰ: الْفَرَحُ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

وَأَفَادَكَ أَيْضًا: الْخَوْفَ الْعَظِيمَ؛ فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الإِنْسَانَ يكْفُرُ بِكَلمَةٍ يُخْرِجُهَا مِنْ لِسَانِهِ، وَقَدْ يَقُولُهَا -وَهُوَ جَاهِلٌ- فَلا يُعْذَرُ بِالْجَهْلِ، وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ يَظُنَّ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُ إِلَىٰ اللهِ -كَمَا ظَنَّ الكفار-، خُصُوصًا إِنْ أَلْهَمَكَ اللهُ تعالىٰ مَا قَصَّ عَنْ قَوْمِ مُوسَىٰ عليه السلام مَع صَلاحِهِمْ وَعِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ أَتَوْهُ قَائِلِينَ: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾ [الأعراف:١٣٨]، فَحِينَئِذٍ يَعْظُمُ خَوْفُكَ، وَحِرْصُك عَلَىٰ مَا يُخَلِّصُكَ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِه.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ سُبْحَانهُ مِنْ حِكْمَتِهِ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا بِهَذَا التَوْحِيدِ إِلاَّ جعلَ لَهُ أَعْدَاء كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام:١١٢].

وَقَدْ يكُونُ لأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ وكتب وَحُجَجٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [غافر:٨٣].

إِذا عَرَفْتَ ذَلِكَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَىٰ اللهِ لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَاء قَاعِدِينَ عَلَيْهِ، أَهْلِ فَصَاحَةٍ، وَعِلْمٍ، وَحُجَجٍ فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ دِينِ اللهِ مَا يَصِيرُ سِلاحًا لك تُقَاتِلُ بِهِ هَؤُلاءِ الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ قَالَ إِمَامُهُمْ، وَمُقَدَّمُهُمْ لِربكَ تعالىٰ: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٦ - ١٧].

وَلَكِنْ إِنْ أَقْبَلْتَ علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَصْغَيْتَ إِلَىٰ حُجَجِ اللهِ، وَبَيِّناتِهِ فَلا تَخَفْ، وَلاَ تَحْزَنْ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٧٦].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَالْعَامِّيُّ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ ألفًا مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلاءِ الْمُشْرِكِين، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٣]، فَجُنْدُ اللهِ تَعَالَىٰ هُمُ الْغَالِبُونَ بِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ كَمَا أنهُمُ الْغَالِبُونَ بِالسِّيْفِ وَالسِّنَانِ، وإِنَّمَا الْخَوْفُ عَلَىٰ الْمُوَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلاحٌ.

وَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]، فَلا يَأْتِي صَاحِبُ بَاطِلٍ بِحُجَّةٍ إِلاَّ وَفِي الْقُرْآنِ مَا يَنْقُضُهَا، وَيُبيِّنُ بُطْلانَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣]، قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: (هَذِهِ الآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهْلُ الْبَاطِلِ إِلَىٰ يَوْم الْقِيَامَةِ).

[جَوَابٌ مُجْمَلٌ عَنِ احْتِجَاجِ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُتَشَابِهِ]:

وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ أَشْيَاءَ مِمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ جَوَابًا لِكَلامٍ احْتَجَّ بِهِ الْمُشْرِكُون فِي زَمَانِنَا عَلَيْنَا. **فَنَقُولُ: جَوَابُ أَهْلِ الْبَاطِلِ مِنْ طَرِيقَيْنِ: مُجْمَلٌ، وَمُفَصَّلٌ.**

أَمَّا (**الْمُجْمَلُ**): فَهُوَ الأَمْرُ الْعَظِيمُ، وَالْفَائِدَةُ الْكَبِيرَةُ لِمَنْ عَقَلَهَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ المتشابه وَيَتْرُكُونَ الْمُحْكَمَ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ فِي كِتَابِهِ فَاحْذَرُوهُمْ**».

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قَالَ لَكَ بَعْضُ الْمُشْرِكِين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]، أَوْ إِنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ، أَوْ إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللهِ، أَوْ ذَكَرَ كَلاَمًا لِلنَبِيِّ ﷺ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَىٰ شيء من بَاطِلِهِ وَأَنْتَ لاَ تَفْهَمُ مَعْنَىٰ الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ.

فَجَاوِبْهُ بِقَوْلِكَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذَكَرَ أَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ يَتْرُكُونَ الْمُحْكَمَ، وَيَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ. وَمَا ذَكَرْتُه لَكَ مِنْ أَنَّ اللهَ ذَكَرَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يُقِرُّونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّهُ كَفَّرَهُمْ بِتَعَلُّقِهِمْ عَلَىٰ الْمَلاَئِكَةِ، والأَنْبِياءِ، والأَوْلِيَاءِ مَع قَوْلِهِمْ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، وَهَذَا أَمْرٌ مُحْكَمٌ بيّن، لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ مَعْنَاهُ. وَمَا ذَكَرْتَه لِي – أَيُّهَا الْمُشْرِكُ– مِن الْقُرْآنِ، أَوْ كَلاَم رَسُولِ اللهِ ﷺ لا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ، وَلكِنْ أَقْطَعُ أَنَّ كَلاَمَ اللهِ لاَ يَتَنَاقَضُ، وَأَنَّ كَلاَمَ النَّبِيِّ ﷺ لاَ يُخَالِفُ كَلاَمَ اللهِ تعالىٰ.

وَهَذَا جَوَابٌ جَيِّدٌ سَدِيدٌ، وَلكِنْ لا يَفْهَمُهُ إلاَّ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، فَلا تَسْتَهْن به؛ فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٥].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[جَوَابٌ مُفَصَّلٌ عَنِ الشُّبَهِ]:

[الشُّبْهَةُ الأُولَىٰ: أَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَلَمْ يَقْصِدْ مِنَ الصَّالِحِينَ إِلَّا الجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ؛ فَلَيْسَ بِمُشْرِكٍ]

وأَمَّا (**الْجَوَابُ الْمُفصَّلُ**): فإن أعْدَاءُ اللَهِ لَهُم اعتِرَاضَاتٌ كَثِيرَة عَلَىٰ دِينِ الرُّسُلِ يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ.

مِنْهَا قَوْلُهُمْ: نَحْنُ لاَ نُشْرِكُ باللهِ، بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهُ لا يَخْلُقُ، وَلا يَرْزُقُ، وَلاَ يَنْفَعُ، وَلا يَضُرُّ إِلاَّ اللهُ -وَحُدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ-، وأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفعًا، وَلاَ ضَرًّا، فَضْلًا عَنْ عَبْدِ الْقَادِرِ، أَوْ غَيْرِهِ، وَلكِنْ أَنَا مُذْنِبٌ، وَالصَّالِحُونَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللهِ، وَأَطْلُبُ مِن اللهِ بِهِمْ.

فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ، وَهُوَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِمَا ذَكَرْتَ، وَمُقِرُّونَ أَنَّ أَوْثَانَهُمْ لاَ تُدَبِّرُ شَيْئًا، وإِنَمَا أَرَادُوا الْجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ، وَاقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَوَضَّحَهُ.

[الشُّبْهَةُ الثَّانِيَةُ: حَصْرُهُمْ عِبَادَةَ غَيْرِ اللهِ فِي الأَصْنَامِ دُونَ الصَّالِحِينَ]:

فَإِنْ **قَالَ**: هَؤُلاَءِ الآيَاتِ نَزَلَتْ فِيمَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ، فكَيفَ تَجْعَلُونَ الصَالِحِينَ مِثْلَ الأَصْنَامِ؟ أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الأَنْبِيَاءَ أَصْنَامًا؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّهُ إِذَا أَقَرَّ أَنَّ الْكُفَارَ يَشْهَدُون بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلِّهَا للهِ، وَأَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا مِمن قَصَدُوا إِلاَّ الشَّفَاعَةَ، وَلكِنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِمْ وَفِعْلِهِ بِمَا ذَكَرَ، فَاذْكُرْ لَهُ أَنَّ الْكُفَّارَ: مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَصْنَامَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَوْلِيَاءَ - الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ [الإسراء:٥٧].

ويَدْعُونَ عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ، وَأُمَّهُ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [المائدة:٧٥ - ٧٦].

وَاذْكُرْ له قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ:٤٠ - ٤١]، وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١١٦].

فَقُلْ لَهُ: عَرَفْت أَنَّ اللهَ كَفَّرَ مَنْ قَصَدَ الأَصْنَامَ، وَكَفَّرَ -أَيْضًا- مَنْ قَصَدَ الصَّالِحِينَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[الشُّبْهَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ طَلَبَ الشَّفَاعَةِ مِنْهُمْ لَيْسَ بِشِرْكٍ]:

فَإِنْ قَالَ: الْكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُم، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُ الْمُدَبِّرُ، لا أُرِيدُ إِلاَّ مِنْهُ، وَالصَّالِحُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِن الأَمْرِ شَيءٌ، وَلكِنْ أَقْصدُهُمْ أَرْجُو مِنَ اللهِ شَفَاعَتَهُمْ.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا قَوْلُ الْكُفَّارِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ، واقْرَأْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[يونس:١٨].

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الشُّبَهَ الثَّلاَثَ هِيَ أَكْبَرُ مَا عِنْدَهُمْ. فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ وَضَّحَهَا في كِتَابِهِ، وَفَهِمْتَهَا فَهْمَاَ جيِّدًا فَمَا بَعْدَهَا أَيْسَرُ مِنْهَا.

[الشُّبْهَةُ الرَّابِعَةُ: نَفْيُهُمْ عِبَادَةَ الصَّالِحِينَ، مَعَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَهُمْ أَوْ يَذْبَحُونَ لَهُمْ]:

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لاَ أَعْبُدُ إِلاَّ اللهَ، وَهَذَا الالْتِجَاءُ إِلىٰ الصالحين وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ.

[الجَوَابُ الأَوَّلُ]:

فَقُلْ لَهُ: أَنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْكَ إِخْلاَصَ الْعِبَادَةِ.

فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فَقُلْ لَهُ: بَيِّنْ لنا هَذَا الفرض الَّذِي فَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ، وَهُوَ إِخْلاَصُ الْعِبَادَةِ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَعْرِفُ الْعِبَادَةَ، وَلاَ أَنْوَاعَهَا؛ فَبَيِّنْهَا بِقَوْلِكَ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥].

فَإِذَا أَعْلَمتهُ بِهَذَا فَقُلْ لَهُ: هَلْ هُوَ عِبَادَةٌ للهِ تَعَالَىٰ؟

فَلاَ بُدَّ أن يَقُولَ: نَعَمْ، وَالدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهَ عِبَادَةٌ، وَدَعَوْتَ اللهَ لَيْلًا وَنَهَارًا، خَوْفًا وَطَمَعًا، ثُمَّ دَعَوْتَ فِي تِلْكَ الْحَاجَةِ نَبِيًّا، أَوْ غَيْرَهُ، هَلْ أَشْرَكْتَ فِي عِبَادَةِ اللهِ غَيْرَهُ؟

فَلاَ بُدَّ أن يَقُولَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]، فَإِذَا صليت للهَ، وَنَحَرْتَ لَهُ، هَلْ هَذا عِبَادَةٌ؟

فَلاَ بُدَّ أن يَقُولَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا نَحَرْتَ لمخْلُوقٍ: نَبِيٍّ أَوْ جِنِّيٍّ أَوْ غَيْرِهِمَا، هَلْ أَشْرَكْتَ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ غَيْرَ اللهِ؟

فَلاَ بُدَّ أن يُقِرَّ ويقُولَ: نَعَمْ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[الجَوَابُ الثَّانِي]:

وَقُلْ لَهُ -أَيْضًا-: الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهُم الْقُرْآنُ هَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلاَئِكَةَ، وَالصَّالِحِينَ، وَاللاَّتَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ؟

فَلا بُدَّ أن يَقُولَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلاَّ فِي الدُّعَاءِ، وَالذَّبْحِ، وَالالْتِجَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؟ وَإِلاَّ فَهُمْ مُقِرُّونَ أَنَّهُمْ عَبِيدُهُ، وَتَحْتَ قَهْرِه، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الأَمْرَ، وَلكِنْ دَعَوْهُمْ، وَالْتَجَؤُوا إِلَيْهِمْ لِلجَاهِ والشَّفَاعَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدًّا.

[الشُّبْهَةُ الخَامِسَةُ: أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الشِّرْكَ؛ فَقَدْ أَنْكَرَ شَفَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ]:

فَإِنْ قَالَ: أَتُنْكِرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَبْرَأُ مِنْهَا؟

فَقُلْ: لاَ أُنْكِرُهَا، وَلاَ أَتَبَرَّأُ مِنْهَا، بَلْ هُوَ ﷺ الشَّافِعُ الْمُشَفَّعُ، وَأَرْجُو شَفَاعَتَهُ، وَلكِنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا للهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤]، وَلاَ تَكُونُ إِلاَّ بَعْدَ إِذْنِ اللهِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وَلاَ يَشْفَعُ فِي أَحَدٍ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ فِيهِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، وَهُوَ لاَ يَرْضىٰ إِلاَّ التَّوْحِيدَ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لله، وَلاَ تَكُونُ إِلاَّ بَعْدَ إِذْنِهِ، وَلاَ يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ، وَلاَ غَيرُهُ فِي أَحَدٍ حَتَّىٰ يَأْذَنَ اللهُ فِيهِ، وَلاَ يَأْذَنُ إِلاَّ لأَهْلِ التَّوْحِيدِ تَبَيَّنَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لله، وَأَطْلُبُهَا مِنْه سبحانهُ.

فَأَقُولُ: اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنِي شَفَاعَتَه، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ، وَأَمْثَالُ هَذَا.

[الشُّبْهَةُ السَّادِسَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَّهَا تُطْلَبُ مِنْهُ]:

فإِنْ قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ.

[الجَوَابُ الأَوَّلُ]:

فَالْجَوَابُ: أَنَّ اللهَ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ، وَنَهَاكَ أن تدعو مع الله أحدًا، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، وَطَلَبُكَ مِنَ اللهِ شَفَاعَةَ نَبِيِّهِ ﷺ عِبَادَةٌ، وَاللهُ نَهَاكَ أَنْ تُشْرِكَ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ أَحَدًا، فَإِذَا كُنْتَ تَدْعُو اللهَ أَنْ يُشَفِّعَه فيكَ فَأَطِعْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[الجَوَابُ الثَّانِي]:

وَأيْضًا فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ أُعْطِيَهَا غَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ فَصَحَّ أَنَّ الْمَلاَئِكَةَ يَشْفَعُونَ، والأولياء يَشْفَعُونَ، والأفراط يَشْفَعُونَ.

أَتَقُولُ: إِنَّ اللهَ أعْطَاهُم الشَّفَاعَةَ، فَأطْلُبُهَا مِنْهُمْ؟

فَإِنْ قُلْتَ هَذَا رَجَعْتَ إِلَىٰ عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ -التِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ-.

وَإِنْ قُلْتَ: لاَ، بَطَلَ قَوْلُكَ: أعْطَاهُ اللهُ الشَّفَاعَةَ، وَأنَا أطْلُبُهُ مِمَّا أعْطَاهُ الله.

[الشُّبْهَةُ السَّابِعَةُ: أَنَّ الِالْتِجَاءَ إِلَىٰ الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ]:

فَإِنْ قَالَ: أنَا لاَ أُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، حَاشَا وَكَلاَّ، وَلكِن الالْتِجَاء إِلَىٰ الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أنَّ اللهَ حَرَّمَ الشِّرْكَ أعْظَمَ مَنْ تَحْرِيم الزِّنا، وَتُقِرُّ أنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُهُ، فَمَا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي عظمه الله، وَذَكَرَ أَنَّهُ لاَ يَغْفِرُهُ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي.

فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ مِن الشِّرْكِ -وَأنْتَ لاَ تَعْرِفُهُ-؟ كَيْفَ يُحَرِّمُ اللهُ عَلَيْكَ هَذَا، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لاَ يَغْفِرُهُ وَلاَ تَسْأَلُ عَنْهُ، وَلاَ تَعْرِفُهُ؟ أَتَظُنُّ أَنَّ اللهَ تعالىٰ يُحَرِّمُهُ، وَلاَ يُبَيِّنُهُ لَنَا!

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[الشُّبْهَةُ الثَّامِنَةُ: أَنَّ الشِّرْكَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، وَنَحْنُ لا نَعْبُدُ الأَصْنَامَ]:

فَإِنْ قَالَ: الشِّرْكُ عِبادَةُ الأَصْنامِ، وَنَحْنُ لاَ نَعْبُدُ الأَصْنَامَ.

[الجَوَابُ الأَوَّلُ]:

فَقُلْ لَهُ: مَا مَعْنىٰ عِبَادَةِ الأَصْنامِ؟ أَتَظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الأخشاب والأحجار تَخْلُقُ، وَتَرْزُقُ، وَتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاهَا؟ فَهَذَا يُكَذِّبُهُ الْقُرْآنُ.

وَإِنْ قَالَ: هو قصد خَشَبَة، أَوْ حَجَر، أَوْ بَنِيَّة عَلَىٰ قَبْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، يَدْعُونَ ذَلِكَ، وَيَذْبَحُونَ لَهُ، يَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنَا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ، وَيَدْفَعُ اللهُ عَنَا بِبَرَكَتِهِ، ويعْطِينَا بِبَرَكَتِه.

فَقُلْ: صَدَقْتَ: وَهَذَا هُوَ فِعْلُكُمْ عِنْدَ الأَحْجَارِ، والبنايا الَّتي عَلَىٰ الْقُبُورِ وَغَيْرِهَا. فَهَذَا أَقَرَّ أَنَّ فِعْلَهُمْ هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

[الجَوَابُ الثَّانِي]:

ويقال له أيضًا: قَوْلُكَ:(الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ)، هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا، وَأَنَّ الاعْتِمَادَ عَلَىٰ الصَّالِحِينَ، وَدعُاءَهُمْ لا يَدْخُلُ فِي ذَلِك؟

فَهَذَا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَه اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرِ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَىٰ الْمَلاَئِكَةِ، أَوْ عِيسَىٰ، أَوْ الصَّالِحِينَ. فَلا بُدَّ أَنْ يُقِرَّ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللهِ أَحَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ فَهُوَ الشِّرْكُ الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَسِرُّ الْمَسأَلَةِ أَنَّهُ إِذَا قَالَ: (أَنَا لاَ أُشْرِكُ بِاللهِ) فَقُلْ لَهُ: وَمَا الشِّرْكُ بِاللهِ فَسِّرْهُ لِي؟

فَإِن قَالَ: هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، فَقُلْ: وَمَا عِبَادَةُ الأَصْنَامِ؟ فَسِّرْهَا لِي؟ فإِنْ قَالَ: أَنَا لاَ أَعْبُدُ إِلاَّ اللهَ.

فَقُلْ: مَا مَعْنَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ؟ فَسِّرْهَا لي؟ فَإِنْ فَسَّرَهَا بِمَا بَيَّنَهُ الْقُرْآنِ فَهُو الْمطْلُوبُ. وَإِن لَمْ يَعْرِفْهُ فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئًا -وَهُوَ لاَ يَعْرِفُهُ-؟ وَإِنْ فَسَّرَ ذلك بِغَيْرِ مَعْنَاهُ بَيَّنْتَ لَهُ الآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ فِي مَعْنَىٰ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ أَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَه فِي هَذَا الزَّمَانِ بِعَيْنِهِ، وَأَنَّ عِبَادَةَ اللهِ -وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ- هِيَ التِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا، وَيَصِيحُونَ كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُمْ حَيْثُ قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥].

فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ لَمْ يَكْفُرُوا بِدُعَاءِ الْمَلاَئِكَةِ، وَالأَنْبِيَاءِ وَإِنَّمَا كَفَرُوا لَمَّا قَالُوا: الْمَلاَئِكَةُ بَنَاتُ اللهِ. وَنَحْنُ لَمْ نَقُلْ: إِنَّ عَبْدَ الْقَادِرِ، وَلاَ غَيْرَهُ ابنُ اللهِ.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ نِسْبَةَ الْوَلَدِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ كُفْرٌ مُسْتَقِلٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:١ - ٢]، وَالأَحَدُ: الَّذِي لا نَظِيرَ لَهُ. والصَّمَدُ: الْمَقْصُودُ فِي الْحَوَائِجِ. فَمَنْ جَحَدَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ وَلَوْ لَمْ يَجْحَدْ آخِرَ السُّورَةِ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون:٩١]، فَفَرَّقَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَجَعَلَ كُلًّا مِنْهُمَا كُفْرًا مُسْتَقِلًا. وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٠]، فَفَرَّقَ بَيْنَ الْكُفْرَيْنِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذَا -أَيْضًا- أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِدُعَاءِ اللاتِ - مَعَ كَوْنِهِ رَجُلًا صَالِحًا -لَمْ يَجْعَلُوهُ ابْنَ اللهِ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعِبَادَةِ الْجِنِّ لَمْ يَجْعَلُوهُمْ كَذَلِكَ. وَكَذَلِكَ الْعُلَمَاءُ -أَيْضًا- وَجَمِيعُ الْمَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ يَذْكُرُونَ فِي بَابِ (حكْمِ الْمُرْتَدِّ) أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا زَعَمَ أَنَّ لله وَلَدًا فَهُوَ مُرْتَدٌّ، وِإِنْ أَشْرَكَ بِاللهِ فَهُوَ مُرْتَدٌّ فَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ. وَهَذَا فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ.

وَإِنْ قَالَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢].

فَقُلْ: هَذَا هُوَ الْحَقُّ، وَلكِنْ لا يُعْبَدُونَ. وَنَحْنُ لاَ نُنْكِرُ إِلاَّ عِبَادَتَهُمْ مَع اللهِ، وَإِشْرَاكَهُمْ مَعَهُ. وَإِلاَّ فَالَوَاجِبُ عَلَيْكَ حُبُّهُمْ، وَاتِّبَاعُهُمْ، وَالإِقْرَارُ بِكَرَامَاتِهِمْ. وَلاَ يَجْحَدُ كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ إِلاَّ أَهْلُ الْبِدَعِ وَالضَّلاَل. وَدِينُ اللهِ وَسَطٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ، وَهُدَىً بَيْنَ ضَلاَلَتَيْنِ، وَحَقٌّ بَيْنَ بَاطِلَيْنِ.

فَإِذَا عَرَفتَ أَنَّ هَذَا الَّذِي يُسَمِّيهُ الْمُشْرِكُونَ فِي وقتنا **(الاعْتِقَادَ)** هُوَ الشِّرْك الَّذِي نزل فِيهِ الْقُرْآنُ، وَقَاتَلَ رَسُولُ الله ﷺ النَّاسَ عَلَيْهِ فاعْلَمْ أَنَّ شِرْكَ الأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِنْ شِرْكِ أَهْلِ زماننا بِأَمريْنِ:

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

أَحَدُهمَا: أَنَّ الأَوَّلِينَ لاَ يُشْرِكُونَ، وَلاَ يَدْعُونَ الْمَلاَئِكَةَ، والأَوْلِيَاءَ، والأَوْثَانَ مَع اللهِ إلاَّ فِي الرَّخَاءِ. وَأَمَّا فِي الشِّدَّةِ فَيُخْلِصُونَ لله الدين، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء:٦٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾[الأنعام:٤٠ - ٤١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾[الزمر:٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [لقمان:٣٢].

فَمَنْ فَهِمَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي وَضَّحَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَهِيَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ -الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ- يَدْعُونَ اللهَ، وَيَدْعُونَ غَيْرَهُ فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الشِّدَّةِ فَلاَ يَدْعُونَ إِلاَّ اللهَ – وَحْدَهُ لا شريك له- وَيَنْسَوْنَ سَادَاتِهِمْ تَبَيَّنَ لَهُ الْفَرْقُ بَيْنَ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا، وَشِرْكِ الأَوَّلِينَ.

وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فَهْمًا رَاسِخًا، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

والأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّ الأَوَّلِينَ يَدْعُونَ مَع اللهِ أُنَاسًا مُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللهِ: إِمَّا ملائكة، وإِمَّا أنبياء، وَإِمَّا أولياء. أَوْ يَدْعُونَ أشجارًا، وأحجارًا مُطِيعَةً للِّهِ تَعَالَىٰ، لَيْسَتْ عَاصِيَةٍ.

وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَدْعُونَ مَع اللهِ أُنَاسًا مِنْ أَفْسَقِ النَّاسِ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ هُم الَّذِينَ يَحْكُونَ عَنْهُم الْفُجُورَ مِن الزِّنَا، وَالسَّرِقَةِ، وَتَرْكِ الصَّلاَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَالَّذِي يَعْتَقِدُ فِي الصَّالِحِ، وَالَّذِي لاَ يَعْصِي - مِثْلِ الْخَشَبِ وَالْحَجَرِ - أَهْوَنُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فِيمَنْ يُشَاهَدُ فِسْقُهُ وَفَسَادُه، وَيُشْهَدُ بِهِ.

[الشُّبْهَةُ التَّاسِعَةُ: كَيْفَ تَجْعَلُونَنَا مِثْلَ المُشْرِكِينَ الأَوَّلِينَ، وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟]:

إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ الَّذِين قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصَحُّ عُقُولًا وَأَخَفُّ شِرْكًا مِنْ هَؤُلاَءِ: فَاعْلَمْ أَنَّ لِهَؤُلاَءِ شُبْهَةً يُورِدُونَهَا عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَا وَهِي مِنْ أَعْظَمِ شُبَهِهِمْ، فَاصْغِ سَمْعَكَ لِجَوَابِهَا.

وَهِي أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ لاَ يَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَيُكَذِّبُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَيُنْكِرُونَ الْبَعْثَ، وَيُكَذَّبوْنَ الْقُرْآنَ، وَيَجْعَلُونَهُ سِحْرًا.

وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَنُصَدِّقُ الْقُرْآنَ، ونُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَنُصَلِّي، وَنَصُومُ، فكَيْفَ تَجْعَلُونَنَا مِثْلَ أولئِكَ!

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[الجَوَابُ الأَوَّلُ]:

فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لاَ خِلاَفَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ كُلِّهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَدَّقَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي شَيْءٍ، وَكَذَّبَهُ فِي شَيْءٍ أَنَّهُ كَافِرٌ لَمْ يَدْخُلْ فِي الإِسْلاَمِ.

وَكَذَلِكَ إِذَا آمَنَ بِبَعْضِ الْقُرْآنِ، وَجَحَدَ بَعْضَهُ، كَمَنْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ، وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلاَةِ، أَوْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ، وَالصَّلاَةِ، وَجَحَدَ وُجُوبَ الزَّكاةِ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الصَّوْمِ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ، وَجَحَدَ الْحَجِّ.

وَلَمَّا لَمْ يَنْقَدْ أُنَاسٌ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لِلحَجِّ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي حَقِّهِمْ: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

وَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ، وَجَحَدَ الْبَعْثَ كَفَرَ بِالإِجْمَاعِ، وَحَلَّ دَمُهُ، وَمَالُهُ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء:١٥٠ - ١٥١].

فَإِذَا كَانَ اللهُ تَعَالَىٰ قَدْ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ مَنْ آمَنَ بِبَعْضٍ، وَكَفَرَ بِبَعْضٍ فَهُوَ الكَافِرُ حَقًّا زَالَتْ هَذِهِ الشُّبْهَةُ. وَهَذِهِ هِيَ التي ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الأَحْسَاءِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْنَا.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[الجَوَابُ الثَّانِي]:

وَيُقَالُ أَيْضًا: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ ﷺ فِي كل شَيءٍ، وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلاَةِ فَهُوَ كَافِرٌ حَلاَلُ الدَّم وَالْمَالِ بِالإِجْمَاعِ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَقَرَّ بِكُلِّ شَيءٍ إِلاَّ الْبَعْثَ وَكَذَلِكَ لَوْ جَحَدَ وُجُوبَ صَوْم رَمَضَانَ، وأقر بِذَلِكَ لاَ يُجْحَدُ هَذَا، وَلاَ تَخْتَلِفُ الْمَذَاهِبُ فِيهِ، وَقَدْ نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ - كَمَا قَدَّمْنَا -. فَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ فَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِن الصَلاَةِ، والزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ.

فَكَيْفَ إِذَا جَحَدَ الإِنْسَانُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ كَفَرَ -وَلَوْ عَمِلَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ-، وَإِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ لاَ يكْفُرُ! سُبْحَانَ اللهِ مَا أَعْجَبَ هَذَا الْجَهْل؟!

[الجَوَابُ الثَّالِثُ]:

وَيُقَالُ أَيْضًا: هَؤُلاَءِ: أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ أَسْلَمُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، وَيُصَلُّونَ، ويؤذنون.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ يقولون، إنَّ مُسَيْلِمَةَ نَبِيٌّ.

قُلْنَا: هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ إِذَا كَانَ مَنْ رَفَعَ رَجُلًا في مرتبة النَّبِيِّ ﷺ كَفَرَ، وَحَلَّ دمه وماله، وَلَمْ تَنْفَعْهُ الشَّهَادَتَانِ، وَلا الصَّلاَةُ، فَكَيْفَ بِمَنْ رَفَعَ (شَمْسَانَ) أَوْ (يُوسُفَ)، أَوْ صَحَابِيًّا، أَوْ نَبِيًّا في مَرْتَبَةِ جَبَّارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ؟ سُبْحَانَ الله مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ، ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٥٩].

[الجَوَابُ الرَّابِعُ]:

وَيُقَالُ أَيْضًا: الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أبي طَالِبٍ رَضِيَ الله عنه بِالنَّارِ كُلُّهُمْ يَدَّعُونَ الإِسْلاَمَ، وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ رضي الله عنه وَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلكِنِ اعْتَقَدُوا فِي عَلِيٍّ رضي الله عنه مِثْلَ الاعْتِقَادِ فِي (يُوسُفَ)، وَ(شَمْسَانَ) وَأَمْثَالِهِمَا.

فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ قَتْلِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ؟ أَتَظُنُّونَ أن الصَّحَابَةَ يُكَفِّرُونَ الْمُسْلِمِينَ! أَمْ تَظُنُّونَ أن الاعْتِقَادَ في (تَاجٍ) وَأَمْثَالِهِ لاَ يَضُرُّ، وَالاعْتِقَادُ فِي عَلِيِّ بْنِ أبي طَالِبٍ رضي الله عنه يُكَفِّرُ!

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[الجَوَابُ الخَامِسُ]:

وَيُقَالُ أَيْضًا: بَنُو عُبَيْدٍ القَدَّاحِ -الَّذِينَ مَلكُوا الْمَغْرِبَ وَمِصْرَ فِي زَمَنِ بَنِي العَبَّاسِ- كُلُّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلامَ، وَيُصَلُّوْنَ الْجُمُعَةَ، وَالْجَمَاعَةَ. فَلَمَّا أَظْهَرُوا مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشْيَاءَ -دَوْنَ مَا نَحْنُ فِيهِ- أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَقِتَالِهِمْ، وَأَنَّ بِلادَهُمْ بِلادُ حَرْبٍ، وَغَزَاهُم الْمُسْلِمُونَ حَتَّىٰ اسْتَنْقَذُوا مَا بأَيْدِيهِمْ مِنْ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ.

[الجَوَابُ السَّادِسُ]:

وَيُقَالُ -أَيْضًا-: إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلاَّ أَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ وَتكْذِيبِ الرَّسولِ، وَالْقُرْآنِ، وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ فَمَا مَعْنَىٰ البَابِ الَّذِي ذَكَرَ العُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ: (بَابُ: حُكْمِ الْمُرْتَدِّ) وَهُوَ الْمُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ.

ثُمَّ ذَكَرُوا أنواعا كَثِيرَةً، كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يُكَفِّرُ، وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ، حتّىٰ إِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ يَسِيرَةً عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا، مِثْلَ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلِسَانِهِ دَونَ قَلْبِهِ، أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَىٰ وَجْهِ الْمَزْحِ وَاللَّعِبِ!

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[الجَوَابُ السَّابِعُ]:

وَيُقَالُ أَيْضًا:الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ [التوبة:٧٤]. أَمَا سَمِعْتَ اللهَ كَفَّرَهُمْ بِكَلِمَةٍ مَع كَوْنِهِمْ في زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ، وَيُصَلُّونَ مَعَهُ، وَيُزَكُّونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيُوَحِّدُوْنَ؟

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِمْ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة:٦٥ - ٦٦]. فَهَؤُلاَءِ الَّذِينَ صَرَّحَ اللهُ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ- وَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكٍ -قَالُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَالُوهَا عَلَىٰ وَجْهِ الْمَزْحِ.

فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الشُّبْهَةَ، وِهِيَ قَوْلُهُمْ: تُكَفِّرُونَ الْمُسْلِمِينَ أناسًا يَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَيُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ. ثُمَّ تَأَمَّلْ جَوَابَهَا؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ مَا فِي هَذِهِ الأَوْرَاقِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[الجَوَابُ الثَّامِن]:

وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَىٰ ذَلِكَ -أَيْضًا-: مَا حكَىٰ اللهُ تعالىٰ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ -مَع إِسْلاَمِهِمْ، وَعِلْمِهِمْ، وَصَلاَحِهِمْ- أَنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]. وَقَوْلُ أُنَاسٍ مِن الصَّحَابَةِ، يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا -ذاتَ أَنْوَاطٍ-، فَحَلَفَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَنَّ هَذَا مِثْلَ قَوْلِ بنِي إِسْرَائِيلَ لموسىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾.

وَلَكِنْ لِلمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ يُدْلُونَ بِهَا عِنْدَ هَذِهِ القِصَّةِ، وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يكْفُرُوا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قالوا لرسول الله ﷺ اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا.

فَالجَوَابُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَفْعَلُوا، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَفْعَلُوا. وَلاَ خِلاَفَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَفَرُوا. وَكذلك لاَ خِلاَفَ أَنَّ الَّذِينَ نَهَاهُم النَّبِيُّ ﷺ لَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ، وَاتَّخَذُوا ذَاتَ أَنْوَاطٍ بَعْدَ نَهْيِهِ لَكَفَرُوا. وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوب.

وَلَكِنْ هَذِهِ الْقِصَّةُ تُفِيدُ: أَنَّ الْمُسْلِمَ -بَل الْعَالِمَ- قَدْ يَقَعُ فِي أَنْوَاعٍ مِنْ الشِّرْكِ -لاَ يَدْرِي عَنْهَا. فَتُفِيدُ التَّعلمَ وَالتَّحَرُّزَ، وَمَعْرِفَةَ أَنَّ قَوْلَ الْجَاهِلِ: (التَّوْحِيدُ فَهِمْنَاهُ) أَنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْجَهْلِ، وَمكَائِدِ الشَّيْطَانِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَتُفِيدُ -أَيْضًا- أَنَّ الْمُسْلِمَ الْمُجْتَهِدَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلاَمِ كُفْرٍ -وَهُوَ لاَ يَدْرِي- فَنُبِّهَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ أَنَّهُ لاَ يَكْفُرُ، كَمَا فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَالَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ.

وَتُفِيدُ -أَيْضًا- أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكْفُرْ فَإِنَّهُ يُغَلَّظُ عَلَيْهِ الْكَلاَمُ تَغْلِيظًا شَدِيدًا، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

[الشُّبْهَةُ العَاشِرَةُ: أَنَّ مَنْ قَالَ:(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) لَا يُكَفَّرُ وَلَا يُقْتَلُ وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ]:

وللمشركين شُبْهَةٌ أُخْرَىٰ: **يَقُولُوْنَ**: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَنْكَرَ عَلَىٰ أَسَامَةَ رضي الله عنه قَتْلَ مَنْ قَالَ: (لا إِلَهَ إِلا اللهُ)، **وَقَالَ**: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**»، وَكَذَلِكَ قَوْلُه: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ**»، وأَحَادِيثُ أُخر فِي الْكَفِّ عَمَّنْ قَالَهَا.

وَمرُادُ هَؤلاَءِ الْجَهَلَةِ أَنَّ مَنْ قَالَهَا لاَ يَكْفُرُ، وَلاَ يُقْتَلُ - وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ.

فَيُقَالُ لِهَؤُلاءِ الْمُشْرِكِينَ الْجُهَّالِ: مَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَ الْيَهُودَ، وَسَبَاهُمْ، وَهُمْ يَقُولُونَ: (لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ)، وَأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَيُصَلُّونَ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلاَمَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بنُ أَبي طَالِبٍ رضي الله عنه بِالنَّارِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَهَؤُلاءِ الْجَهَلَةُ مُقِرُّونَ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ كَفَرَ وَقُتِلَ -وَلَوْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مَنْ جحد شَيْئًا مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ كَفَرَ وَقُتِلَ -وَلَوْ قَالَهَا-.

فَكَيْفَ لاَ تَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ شَيْئًا مِن الْفُرُوعِ وَتَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ التَوْحِيدَ - الَّذِي هُوَ أَسَاسُ دِينِ الرُّسُلِ، وَرَأْسُهُ! وَلكِنَّ أَعْدَاءَ اللهِ مَا فَهِمُوا مَعْنَىٰ الأَحَادِيثِ.

فَأَمَّا حَدِيثُ أُسَامَةَ رضي الله عنه فَإِنَّهُ قَتَلَ رَجُلًا ادَّعَىٰ الإِسْلاَمَ بِسَبَبِ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مَا ادَّعَاهُ إِلاَّ خَوْفًا عَلَىٰ دَمِهِ وَمَالِهِ.

وَالرَّجُلُ إِذَا أَظْهَرَ الإِسْلاَمَ وَجَبَ الْكَفُّ عَنْهُ حَتَىٰ يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ. وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي ذَلِكَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [النساء:٩٤]، فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ يَجِبُ الْكَفُّ عَنْهُ، وَالتَّثَبُّتُ، فَإِنْ تَبَيَّنَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يُخَالِفُ الإِسْلاَمَ قُتِلَ لِقَوْلِهِ: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾، وَلَوْ كَانَ لاَ يُقْتَلُ إِذَا قَالَهَا لَمْ يَكُنْ لِلتَّثَبُّتِ مَعْنًىٰ.

وَكَذلِكَ الْحَدِيثُ الآخَرُ وَأَمْثَالُهُ، مَعْنَاهُ مَا ذَكَرْنا أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ الإِسْلاَمَ وَالتَّوْحِيدَ وَجَبَ الْكَفُّ عَنْهُ إِلاَّ أَنْ يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ الَّذِي قَالَ: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**»، وَقَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ**» هُوَ الَّذِي قَالَ فِي الْخَوَارِجِ: «**أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ**»، «**لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»، مَع كَوْنِهِمْ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عِبَادَةً، وتَهْلِيلًا، حَتَّىٰ إِنَّ الصَّحَابَةَ يَحْقِرُونَ أنفسهم عِنْدَهُمْ، وَهُمْ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِن الصَّحَابَةِ؛ فَلَمْ تَنْفَعْهُمْ (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَهُ)، وَلاَ كَثْرَةُ الْعِبَادَةِ، وَلاَ ادِّعَاءُ الإِسْلاَمِ لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ مُخَالَفَةُ الشَّرِيعَةِ.

وَكَذلِكَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ قِتَالِ الْيَهُودِ، وَقِتَالِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم بَنِي حَنِيفَةَ.

وَكَذَلِكَ أَرَادَ النَّبِيُ ﷺ أَنْ يَغْزُوَ بَنِي الْمُصْطَلِقْ لَمَّا أَخْبَرَهُ رَجُلٌ أَنَّهُمْ مَنَعُوا الزَّكَاةَ، حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ**﴾ [الحجرات:٦]، وَكَانَ الرَّجُلُ كَاذِبًا عَلَيْهِمْ.

فَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الأَحَادِيثِ التي احتجُّوا بها مَا ذَكَرْنَاه.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[الشُّبْهَةُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الِاسْتِغَاثَةَ بِغَيْرِ اللهِ لَيْسَتْ شِرْكًا؛ لِجَوَازِ الِاسْتِغَاثَةِ بِالأَنْبِيَاءِ فِي الآخِرَةِ]:

وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَىٰ، وَهِيَ مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْتَغِيثُونَ بِآدَمَ، ثُمَّ بِنُوحٍ، ثُمَّ بِإِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ بِمُوسَىٰ، ثُمَّ بِعِيسَىٰ فَكُلُّهُمْ يَعْتَذِرُون، حَتَىٰ يَنْتَهُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالُوا: فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الاسْتِغَاثَةَ بِغَيْرِ اللهِ لَيْسَتْ شِرْكًا.

فَالْجَوَابُ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ مَنْ طَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِ أَعْدَائِهِ فَإِنَّ الاسْتِغَاثَةَ بِالْمَخلُوقِ فيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لاَ نُنْكِرُهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي قصة موسىٰ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥]، وَكَمَا يَسْتَغِيثُ الإِنْسَانُ بِأَصْحَابِهِ فِي الْحَرْبِ وَغَيْرِه فِي أَشْيَاءِ يَقْدِرُ عَلَيْهَا الْمَخْلُوقُ. وَنَحْنُ أَنْكَرْنَا اسْتِغَاثَةَ الْعِبَادَةِ الَّتِي يَفْعَلُونَهَا عِنْدَ قُبُورِ الأَوْلِيَاءِ، أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ فِي الأَشْيَاءِ الَّتِي لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلاَّ اللهُ.

إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ، فَالاسْتِغَاثَة بِالأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرِيدُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوا اللهَ أَنْ يُحَاسِبَ النَاسَ حَتَّىٰ يَسْتَرِيحَ أَهْلُ الْجَنَةِ مَنْ كَرْبِ الْمَوْقِفِ، وَهَذَا جَائِزٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ أَنْ تَأْتَيَ عِنْدَ رَجُلٍ صَالِحٍ، حي يُجَالِسُكَ، وَيَسْمَعُ كَلاَمَكَ، تَقُولُ لَهُ: ادْعُ الله لِي، كَمَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ فِي حَيَاتِهِ. وَأَمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ فَحَاشَا، وَكَلاَّ أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ ذَلِك عِنْدَ قَبْرِهِ بَلْ أَنكَرَ السَّلَفُ عَلَىٰ مَنْ قَصَدَ دُعَاءَ اللهِ عِنْدَ قَبْرِهِ، فكَيْفَ بدُعَائه نفسه!

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[الشُّبْهَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: لَوْ كَانَتِ الِاسْتِغَاثَةُ بِجِبْرِيلَ شِرْكًا لَمْ يَعْرِضْهَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ]:

وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَىٰ، وَهِي قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ اعْتَرَضَ لَهُ جِبْرَائِيلُ عليه السلام فِي الْهَوَاءِ فَقَالَ: أَلَكَ حَاجَةٌ؟. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام: أَمَّا إِلَيْكَ فَلاَ. قَالُوا: فَلَوْ كَانَتِ الاسْتِغَاثَةُ بِجِبْرَائِيلَ عليه السلام شِرْكًا لَمْ يَعْرِضْهَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا مِنْ جِنْسِ الشُّبهَةِ الأُولَىٰ فَإِنَّ جِبْرَائِيلَ عليه السلام عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْفَعَهُ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ -كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ-: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم:٥]، فَلَوْ أَذِنَ اللهُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ نَارَ إِبْرَاهيمَ وَمَا حَوْلَهَا مِن الأَرْضِ، وَالْجِبَالِ، وَيُلْقِيَهَا فِي الْمَشْرِقِ، أَوْ الْمَغْرِبِ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ اللهُ تعالىٰ أَنْ يَضَعَ إِبْرَاهِيمَ فِي مَكَانٍ بَعِيْدٍ عنهم لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ أَن يَرْفَعَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ لَفَعَلَ.

وَهَذَا كَرَجُلٍ غَنِيٍّ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ يَرَىٰ رَجُلًا مُحْتَاجًا، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَن يُقْرِضَهُ أَوْ يَهَبَهُ شَيْئًا يَقْضِي بِهِ حَاجَتَهُ، فَيَأْبَىٰ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمُحتَاجُ أَنْ يَأْخُذَ، وَيَصْبِرُ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُ اللهُ بِرِزْقٍ لاَ مِنَّةَ فِيهِ لأَحَدٍ.

فَأَيْنَ هَذَا مِنْ اسْتِغَاثَةِ الْعِبَادَةِ وَالشِّرْكِ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ!

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

خَاتِمَةٌ

التَّوْحِيدُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِالقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالعَمَلِ

وَلْنَخْتِمْ الكلام بمسألة عَظِيمَةٍ مُهِمَّةٍ تُفْهَمُ مِمَا تَقَدَّمَ، لكِنْ نُفْرِدُ لَهَا الْكَلاَمَ لِعِظَمِ شَأْنِهَا، وَلِكَثْرَةِ الْغَلَطِ فِيهَا، فَنَقُولُ:

لاَ خِلاَفَ أَنَّ التَّوْحِيدَ لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِالْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، وَالْعَمَلِ: فَإِنْ اخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لَمْ يَكُنْ الرَّجُلُ مُسْلِمًا، فَإِنْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ، كَفِرْعَوْنَ وَإِبْلِيسَ، وَأَمْثَالِهِمَا.

وَهَذَا يَغْلَطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَاسِ، يَقُولُونَ: (هَذَا حَقٌ، وَنَحْنُ نَفْهَمُ هَذَا، وَنَشْهَدُ أَنهُ الْحَقُ، وَلكِنْ لاَ نَقْدِرُ أَنْ نَفْعَلَهُ، وَلاَ يَجُوزُ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِنَا إِلاَّ مَنْ وَافَقَهُمْ)، أوغَيْر ذَلِكَ مِنَ الأَعْذَارِ. وَلَم يدرِ الْمِسْكِينُ أَنَّ غَالِبَ أَئِمَّةِ الْكُفْرِ يَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَلَمْ يَتْرُكُوهُ إِلاَّ لِشَيْءٍ مِنَ الأَعْذَار، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا﴾ [التوبة:٩]، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ، كَقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦].

فَإِنْ عَمِلَ بِالتَّوْحِيدِ عَمَلًا ظَاهِرًا - وَهُوَ لاَ يَفْهَمُه، وَلاَ يَعْتَقِدهُ بِقَلْبِهِ - فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْكَافِرِ الْخَالِصِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَهَذِهِ المَسْأَلَةُ مسألة طَوِيلَةٌ تَبِينُ لَكَ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا فِي أَلْسِنَةِ النَّاسِ: تَرَىٰ مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ، وَيَتْرُكُ الْعَمَلَ به؛ لِخَوْفِ نَقْصِ دنيَا، أَوْ جَاه، أَوْ مداراة. وَتَرَىٰ مَنْ يَعْمَل بِهِ ظَاهِرًا لاَ بَاطِنًا، فَإِذَا سَأَلْتَهُ عَمَّا يَعْتَقِدُ بِقَلْبِهِ إِذَا هُوَ لاَ يَعْرِفُه.

وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِفَهْم آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ:

أُولاَهُمَا: مَا تَقَدَّمَ، من قَوْلُهُ: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة:٦٦]. فَإِذَا تَحقَّقَت أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ غَزَوا الرُّومَ مَع رَسُولِ اللهِ ﷺ كَفَرُوا بِسَبَبِ كَلِمَةٍ قَالُوهَا عَلَىٰ وَجْهِ الْمَزْحِ واللعب تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الَّذِي يَتكَلَّمُ بِالْكُفْرِ، أو يَعْمَلُ بِهِ خَوْفًا مِنْ نَقْصِ مَالٍ، أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُدَارَاةً لأَحَدٍ أَعْظَمُ مِمَّنْ تكَلَّم بِكَلِمَةٍ يَمْزَحُ بِهَا.

وَالآيَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[النحل:١٠٦ - ١٠٧].

فَلَمْ يَعْذُرِ اللهُ مِنْ هَؤُلاَءِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ مَعَ كَوْنِ قَلْبِهِ مُطْمَئِنًّا بِالإِيمَانِ، وَأَمَّا غَيْرُ هَذا فَقَدْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِه، سَوَاءً فَعَلَهُ خَوْفًا، أَوْ مُدَارَاةً، أَوْ مَشَحَّةً بِوَطَنِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، أَوْ عَشِيرَتِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ فَعَلَهُ عَلَىٰ وَجْهِ الْمَزْحِ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِن الأَغْرَاضِ إلاَّ الْمُكْرَهَ. وَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ هَذَا مِنْ جِهَتَيْنِ:

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الأُولَىٰ: قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾، فَلَمْ يَسْتَثْنِ الله إِلاّ المكره. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يكْرَهُ إِلا عَلَىٰ الْكَلاَم، أو الفعل، وأما عَقِيدَةِ الْقَلْبِ، فَلاَ يُكْرَهُ أَحَدٌ عليها.

والثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

فَصَرَّحَ أَنَّ هذا الكُفرَ والْعَذَاب لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ الاعْتِقَادِ، أَوَ الْجَهْلِ، أَوَ الْبُغْضِ لِلدِّيْنِ، أَوْ مَحَبَّةَ الْكُفْرِ، وَإِنَّمَا سَبَبُهُ أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ حَظًّا مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا، فآثَرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ.

وَالله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ أَعْلَمُ. وِالْحَمْدُ لِله رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

روضة الناضر
وجنة المناظر

للعلامة الفقيه موفق الدين أبي محمد بن قدامة المقدسي
رحمه الله (٥٤١-٦٢٠هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

رب زدني علمًا وفهمًا.

الحمد لله العلي الكبير، العليم القدير، الحكيم الخبير، الذي جلّ عن الشبيه والنظير، وتعالىٰ عن الشريك والوزير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١].

وصلىٰ الله علىٰ رسوله محمد البشير النذير، السراج المنير، المخصوص بالمقام المحمود، والحوض المورود، في اليوم العبوس القمطرير، وعلىٰ آله وأصحابه الأطهار النجباء الأخيار، وأهل بيته الأبرار، الذين أذهب الله عنهم الرجس، وخصهم بالتطهير، وعلىٰ التابعين لهم بإحسان، والمقتدين بهم في كل زمان.

أما بعد:

فهذا الكتاب نذكر فيه "أصول الفقه" والاختلاف فيه، ودليل كل قول علىٰ وجه الاختصار والاقتصار من كل قول علىٰ المختار، ونبيّن من ذلك ما نرتضيه، ونجيب من خالفنا فيه.

بدأنا بذكر مقدمة لطيفة في أوله، ثم أتبعناها ثمانية كتب:

الأول: في حقيقة الحكم وأقسامه.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الثاني: في تفصيل الأصول، وهي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والاستصحاب.

الثالث: في بيان الأصول المختلف فيها.

الرابع: في تقاسيم الأسماء.

الخامس: في الأمر والنهي، والعموم، والاستثناء، والشرط، وما يقتبس من الألفاظ، من إشارتها وإيمائها.

السادس: في "القياس" الذي هو فرع الأصول.

السابع: في حكم "المجتهد" الذي يستثمر الحكم من هذه الأدلة، و"المقلد".

الثامن: في ترجيحات الأدلة المتعارضة.

ونسأل الله -تعالىٰ- أن يعيننا فيما نبتغيه، ويوفقنا في جميع الأحوال لما يرضيه، ويجعل عملنا صالحًا، ويجعله لوجهه خالصًا، بمنّه ورحمته.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[معنى الفقه والأصول]

واعلم أنك لا تعلم معنىٰ "أصول الفقه" قبل معرفة معنىٰ "الفقه".

والفقه في أصل الوضع: الفهم، قال الله تعالىٰ: -إخبارًا عن موسىٰ عليه السلام-: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ [طه:٢٧-٢٨].

وفي عرف الفقهاء: العلم بأحكام الأفعال الشرعية، كالحل والحرمة، والصحة والفساد ونحوها.

فلا يطلق اسم "الفقيه" علىٰ متكلم، ولا محدّث، ولا مفسر، ولا نحوي.

وأصول الفقه: أدلته الدالة عليه من حيث الجملة لا من حيث التفصيل فإن الخلاف يشتمل علىٰ أدلة الفقه، لكن من حيث التفصيل، كدلالة حديث خاص علىٰ مسألة **"النكاح بلا ولي"**.

والأصول لا يتعرض فيها لآحاد المسائل، إلا علىٰ طريق ضرب المثال، كقولنا: الأمر يقتضي الوجوب ونحوه.

فبهذا يخالف أصول الفقه فروعه.

ونظر الأصولي في وجوه دلالة الأدلة السمعية علىٰ الأحكام الشرعية، والمقصود: اقتباس الأحكام من الأدلة.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

المقدمة

اعلم أن مدارك العقول تنحصر في الحد والبرهان؛ وذلك لأن إدراك العلوم علىٰ ضربين:

* إدراك الذوات المفردة، كعلمك بمعنىٰ العالَم، والحادث، والقديم.

* **والثاني**: إدراك نسبة هذه المفردات بعضها إلىٰ بعض، نفيًا وإثباتًا.

فإنك تعلم أولًا معنىٰ: العالَم، والحادث، والقديم، مفردة، ثم تنسب مفردًا إلىٰ مفرد، فتنسب الحادث إلىٰ العالم بالإثبات، فتقول: العالم حادث، وتنسب القديم إليه بالنفي، فتقول: العالم ليس بقديم.

فالضرب الأول: يستحيل التصديق والتكذيب فيه، إذ لا يتطرق إلا إلىٰ خبر وأقل ما يتركب منه الخبر مفردان.

والضرب الثاني: يتطرق إليه التصديق والتكذيب.

وقد سمىٰ قوم الضرب الأول تصوّرًا، والثاني تصديقًا وسمىٰ آخرون الأول. معرفة، والثاني علمًا.

وسمىٰ النحويون الأول: مفردًا، والثاني: جملة.

وينبغي أن يعرف البسيط قبل مركبه، فإن من لا يعرف المفرد كيف يعرف المركب، ومن لا يعرف معنىٰ "العالَم" و"الحادث" كيف يعرف أن "العالم حادث"؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ومعرفة المفردات قسمان:

أوّلي: وهو الذي يرتسم معناه في النفس من غير بحث وطلب، كالموجود، والشيء.

ومطلوب: وهو الذي يدل اسمه منه علىٰ أمر جُملي غير مفصّل.

والثاني: قسمان أيضًا:

أولي: كالضروريات.

ومطلوب: كالنظريات.

فالمطلوب من المعرفة لا يقتنص إلا بالحد.

والمطلوب من العلم لا يقتنص إلا بالبرهان.

فلذلك قلنا: مدارك العقول تنحصر فيهما.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فصل: "في أقسام الحد"

والحد ينقسم ثلاثة أقسام: حقيقي، ورسمي، ولفظي.

[الحد الحقيقي، وشروطه]:

فالحقيقي: هو القول الدال علىٰ ماهية الشيء.

والماهية: ما يصلح جوابًا للسؤال بصيغة "ما هو".

فإنّ صيغ السؤال التي تتعلق بأمهات المطالب أربعة:

أحدها: "هل" يطلب بها إما أصل الوجود، وإما صفته.

والثاني: "لِمَ" سؤال عن العلة، وجوابه بالبرهان.

والثالث: "أيّ" يطلب بها تمييز ما عرف جملته.

والرابع: "ما" وجوابه بالحد.

وسائر صيغ السؤال كمتىٰ، وأيان، وأين، يدخل في مطلب "هل"؛ إذ المطلوب به صفة الوجود.

والكيفية: ما يصلح جوابًا للسؤال بكيف؟

والماهية تتركب من الصفات الذاتية.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

والذاتي: كل وصف يدخل في حقيقة الشيء دخولًا لا يتصور فهم معناه دون فهمه، كالجسمية للفرس، واللونية للسواد، إذ من فهم "الفرس" فهم جسمًا مخصوصًا، فالجسمية داخلة في ذات الفرسية، دخولًا به قوامها في الوجود، والعقل لو قدَّر عدمها بطل وجود الفرس، ولو خرجت عن الذهن بطل فهم الفرس.

والوصف اللازم: ما لا يفارق الذات، لكن فهم الحقيقة غير موقوف عليه، كالظل للفرس عند طلوع الشمس، فإنه لازم غير ذاتي؛ إذ فهم حقيقة الفرس غير موقوف علىٰ فهمه، وكون الفرس مخلوقة، أو موجودة، أو طويلة، أو قصيرة، كلها لازمة لها غير ذاتية، فإنك تفهم حقيقة الشيء وإن لم تعلم وجوده.

وأما الوصف العارض: فما ليس من ضرورته أن يلازم، بل يتصور مفارقته، إما سريعًا كحمرة الخجل، أو بطيئًا كصفرة الذهب.

والصبا، والكهولة والشيخوخة، أوصاف عرضية؛ إذ لا يقف فهم الحقيقة علىٰ فهمها، ويتصور مفارقتها.

[تقسيم الأوصاف الذاتية]:

ثم الأوصاف الذاتية تنقسم إلىٰ جنس وفصل:

فالجنس: هو الذاتي المشترك بين شيئين فصاعدًا مختلفين بالحقيقة.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ثم هو منقسم إلىٰ عام، لا أعم منه، كالجوهر، ينقسم إلىٰ جسم وغير جسم.

والجسم ينقسم إلىٰ نام وغيره.

والنامي ينقسم إلىٰ حيوان وغيره.

والحيوان ينقسم إلىٰ آدمي وغيره.

وإلىٰ خاص، لا أخص منه، كالإنسان.

ولا أعم من الجوهر إلا الموجود، وليس بذاتي.

ولا أخص من الإنسان إلا الأحوال العرضية، من الطول، والقصر، والشيخوخة ونحوها.

والفصل: ما يفصله عن غيره، ويميزه به، كالإحساس في الحيوان، فإنه يشارك الأجسام في الجسمية، والإحساس يفصله عن غيره.

[شروط الحد]:

فيشترط في الحد: أن يذكر الجنس والفصل معًا.

وينبغي أن يذكر الجنس القريب، ليكون أدل علىٰ الماهية، فإنك إن اقتصرت علىٰ ذكر البعيد بعدت، وإن ذكرت القريب معه كررت، فلا تقل -في حد الآدمي-: "جسم ناطق" بل حيوان ناطق، وقل -في حد الخمر- "شراب مسكر" ولا تقل "جسم مسكر".

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ثم ينبغي أن يقدم ذكر الجنس علىٰ الفصل، فلا تقل -في حد الخمر-: "مسكر شراب"، بل العكس. وهذا لو تركه تشوّش النظم، ولم يخرج عن الحقيقة.

وإذا كان للمحدود ذاتيات متعددة فلا بد من ذكر جميعها؛ ليحصل بيان الماهية.

وينبغي أن يفصل بالذاتيات، ليكون الحد حقيقيًّا، فإن عسر ذلك عليك فاعدل إلىٰ اللوازم، لكي يصير رسميًّا، وأكثر الحدود رسمية، لعسر درك الذاتيات.

واحترزْ من إضافة الفصل إلىٰ الجنس، فلا تقل في حد الخمر: "مسكر الشراب" فيصير الحد لفظيًّا غير حقيقي.

وأبعد من هذا: أن تجعل مكان الجنس شيئًا كان وزال، فتقول في الرماد: "خشب محترق" فإن الرماد ليس بخشب.

[الحد الرسمي وشروطه]:

وأما الحد الرسمي: فهو اللفظ الشارح للشيء بتعديد أوصافه الذاتية واللازمة، بحيث يطرد وينعكس، كقوله، -في حد الخمر-: "مائع يقذف بالزبد، يستحيل إلىٰ الحموضة، ويحفظ في الدَّن". تجمع من عوارضه ولوازمه ما يساوي بجملته الخمر، بحيث لا يخرج منه خمر، ولا يدخل فيه غير خمر.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

واجتهد أن يكون من اللوازم الظاهرة المعروفة.

ولا تحد الشيء بأخفىٰ منه.

ولا بمثله في الخفاء.

ولا تحد شيئًا بنفي ضده، فتقول في الزوج: "ما ليس بفرد" وفي الفرد: "ما ليس بزوج" فيدور الأمر، ولا يحصل بيان.

واجتهد في الإيجاز -ما استطعت- فإن احتجت فاطلب منها ما هو أشد مناسبة للغرض.

[الحد اللفظي وشرطه]:

وأما الحد اللفظي: فهو شرح اللفظ بلفظ أشهر منه: كقولك: في العقار: "الخمر"، وفي الليث: "الأسد".

ويشترط: أن يكون الثاني أظهر من الأول.

واسم الحد شامل لهذه الأقسام الثلاثة، لكن الحقيقي هو الأول؛ فإن معنىٰ "الحد" يقرب من معنىٰ حد الدار، وللدار جهات متعددة إليها ينتهي الحد، فتحديدها بذكر جهاتها المختلفة المتعددة التي الدار محصورة بها مشهورة.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فإذا سأل عن حد الشيء فكأنه يطلب المعاني والحقائق التي بائتلافها تتم حقيقة ذلك الشيء، وتتميز به عما سواه، فلذلك لم يسم "اللفظي" و"الرسمي" حقيقيًّا، وسمي الجميع باسم "الحد" لأنه جامع مانع؛ إذ هو مشتق من المنع، ولذلك سمي البواب حدّادًا؛ لمنعه من الدخول والخروج.

فحدُّ الحدِّ إذًا: هو اللفظ الجامع المانع.

[تعريف الحد الحقيقي]:

واختلف في حد الحد الحقيقي:

فقيل: هو اللفظ المفسر لمعنىٰ المحدود علىٰ وجهٍ يجمع ويمنع.

وقيل: هو القول الدال علىٰ ماهية الشيء.

وحدّه قوم: بأنه نفس الشيء وذاته.

وهذا لا معارضة بينه وبين ما ذكرناه؛ لكون المحدود ههنا غير المحدود ثَمَّ، وإنما يقع التعارض بعد التوارد علىٰ شيء واحد.

بيانه: أن الموجود له في الوجود أربع مراتب:

الأولىٰ: حقيقته في نفسه.

الثانية: ثبوت مثال حقيقته في الذهن، وهو المعبر عنه بالعلم.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الثالثة: اللفظ المعبّر عما في النفس.

الرابعة: الكتابة عن اللفظ.

وهذه الأربعة متوازية متطابقة.

فإذًا: المحدود في أحد الجانبين غير المحدود في الآخر، فلا معارضة بينهما والله أعلم.

فصل: [في أن تعذر البرهان علىٰ الحد لا يمنع صحته]:

وزعم أهل هذا العلم أن الحد لا يمنع لتعذر البرهان علىٰ صحته، فإن الحد أقل ما يتركب من مفردين، فيحتاج في البرهان عن كل مفرد إلىٰ حد يشتمل علىٰ مفردين، ثم يتسلسل ذلك إلىٰ أن يصير إلىٰ الأوليات المعلومة ضرورة، لكن قل ما يمكن انتهاؤه إليها، والنظر وضع للتعاون علىٰ إظهار الحق، فلا يوضع علىٰ وجه لا يمكن إثباته أو يعسر، بل طريق الاعتراض عليه النقض أو المعارضة، بحد آخر.

فإن عجز المستدل عن نقض حد المعترض كان منقطعًا، وإن أبطله صح حده.

مثاله: قولنا -في حد الغصب-: "إثبات اليد العادية علىٰ مال الغير".

فربما قال الحنفي: لا نسلم أن هذا هو حد الغصب. قلنا: هو مطرد منعكس، فما الحد عندك؟ فيقول: "إثبات اليد العادية المزيلة لليد المحقّة".

قلنا: يبطل بالغاصب من الغاصب، فإنه غاصب يضمن للمالك، ولم يُزل اليد المحقة، فإنها كانت زائلة.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فصل: في البرهان

وهو الذي يتوصل به إلىٰ العلوم التصديقية المطلوبة بالنظر.

وهو عبارة عن أقاويل مخصوصة، ألفت تأليفًا مخصوصًا بشرط يلزم منه رأي هو مطلوب من النظر، وتسمىٰ هذه الأقاويل مقدمات.

ويتطرق الخلل إلىٰ البرهان من جهة المقدمات تارة، ومن جهة التركيب تارة، ومنهما تارة، علىٰ مثال البيت المبني: تارة يختل لعوج الحيطان، وانخفاض السقف إلىٰ قريب من الأرض، وتارة لشعث اللبنات، ورخاوة الجذوع، وتارة لهما جميعًا.

فمن يريد نظم البرهان يبتدئ أولًا بالنظر في الأجزاء المفردة، ثم في المقدمات التي فيها النظم والترتيب.

وأقل ما يحصّل منه المقدمة: مفردان.

وأقل ما يحصّل منه البرهان: مقدمتان، ثم يجمع المقدمتين فيصوغ منهما برهانًا، وينظر كيفية الصياغة.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فصل: في كيفية دلالة الألفاظ على المعنى

واعلم أن دلالة الألفاظ علىٰ المعنىٰ تنحصر في: المطابقة، والتضمن، واللزوم.

فالمطابقة: كدلالة لفظ "البيت" علىٰ معنىٰ البيت.

والتضمن: كدلالته علىٰ السقف، ودلالة لفظ "الإنسان" علىٰ الجسم.

واللزوم: كدلالة لفظ "السقف" علىٰ الحائط؛ إذ ليس جزءًا من السقف، لكنه لا ينفك عنه، فهو كالرفيق الملازم، ولا يستعمل في نظر العقل ما يدل بطريق اللزوم؛ لأن ذلك لا ينحصر في حد؛ إذ السقف يلزم الحائط، والحائط: الأس، والأس الأرض، فلا ينحصر، بل اقتصر علىٰ الأولين: المطابقة والتضمن.

[تقسيم اللفظ، من حيث التعيين وعدمه]:

ثم اللفظ ينقسم إلىٰ ما يدل علىٰ معين كزيد وهذا الرجل.

وحدّه: اللفظ الذي لا يمكن أن يكون مفهومه إلا ذلك الواحد.

وإلىٰ ما يدل علىٰ واحد من أشياء كثيرة، تتفق في معنىٰ واحد، ويسمىٰ "مطلقًا" كقولنا: فرس، ورجل.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فإن دخلت عليه الألف واللام صار عامًا يتناول جميع ما يقع عليه ذلك.

فإن قيل: فالسماء، والأرض، والإله، والشمس، والقمر، مدلولها مفرد مع الألف واللام؟

قلنا: امتناع الشركة لم يكن لوضع اللفظ، بل لاستحالة وجود المشارك؛ إذ الشمس في الوجود واحدة، ولو فرضنا عوالم في كل واحد شمس، كان قولنا: الشمس شاملًا للكل.

[تقسيم الألفاظ المتعددة المعاني باعتبار مسمياتها]:

ثم تنقسم الألفاظ إلىٰ: مترادفة، ومتباينة، ومتواطئة، ومشتركة.

فالمترادفة: أسماء مختلفة لمسمّىٰ واحد، كالليث والأسد، والعقار والخمر.

فإن كان أحدهما يدل علىٰ المسمىٰ مع زيادة لم يكن من المترادفة، كالسيف، والمهنّد، والصارم؛ فإن المهنّد يدل علىٰ السيف مع زيادة نسبته إلىٰ الهند، والصارم يدل عليه مع صفة الحدَّة، فخالف إذا مفهومه مفهوم السيف.

وأما المتباينة: فالأسماء المختلفة للمعاني المختلفة، كالسماء والأرض، وهي الأكثر.

وأما المتواطئة: فهي الأسماء المنطلقة علىٰ أشياء متغايرة بالعدد، متفقة بالمعنىٰ الذي وضع الاسم عليها، كالرجل: ينطلق علىٰ زيد، وعمرو، والجسم: ينطلق عليهما وعلىٰ السماء والأرض، لاتفاقهما في معنىٰ الجسمية.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وأما المشتركة: فهي الأسماء المنطلقة علىٰ مسميات مختلفة بالحقيقة، كالعين للعضو الناظر، والذهب.

وقد يقع علىٰ المتضادين: كالجلل، للكبير والصغير، والجون: للأسود والأبيض، والقرء: للحيض والطهر، والشفق: للبياض والحمرة.

وقد يقرب المشترك من المتواطئ، كالحي، يقع علىٰ الحيوان والنبات، يظن أنه من المتواطئ، وهو من المشترك؛ إذ المراد من حياة النبات: الذي يحصل به نماؤه، ومن الحيوان: الذي يحس به ويتحرك بالإرادة، فيسمىٰ هذا مشتبهًا.

والمختار: يطلق علىٰ القادر علىٰ الفعل وتركه، فلذلك يصح تسمية المكره مختارًا، ويطلق علىٰ من تحكم قدرته في استعماله فلا تتحرك دواعيه من خارج، وهذا غير موجود في المكره، فليفهم هذا.

وله نظائر في النظريات تاهت فيها عقول كثير من الضعفاء، فليستدل بالقليل علىٰ الكثير.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فصل: في النظر في المعاني

سبب الإدراك يسمىٰ: قوة.

والمعاني المدركة ثلاثة: محسوسة، ومتخيلة، ومعقولة.

* ففي حدقتك معنىٰ تميزت به عن الجبهة حتىٰ صرت تبصر بها، تسمىٰ قوة باصرة.

وشرط البصر: وجود المبصَر، فإذا أبصرت شيئًا فهو محسوس بحاسة البصر، فإذا انعدم المبصَر انعدم الإبصار، وبقيت صورته في دماغك كأنك تنظر إليها، فيسمىٰ ذلك تخيّلًا، فغيبة الشيء تنفي الإبصار، ولا تنفي التخيل.

ولما كنت تحس التخيل في دماغك، فاعلم أن في الدماغ غريزة وصفة تهيؤ للتخيل بها، تباين بها بقية الأعضاء، كمباينة العين لهما.

وهذه القوة يشارك فيها الإنسان البهيمة، فمهما رأىٰ الفرسُ الشعير تذكر صورته، فيعرف أنه موافق له مستلذ لديه، ولو لم تثبت الصورة في خياله لم يبادر إليه، ما لم يجرّبه بالذوق مرة أخرىٰ.

ثم فيك قوة ثالثة تباين البهيمة بها، تسمىٰ "عقلًا" محلها القلب، تباين قوة التخيل، أشد من مباينة قوة التخيل قوة الإبصار.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ثم فيك قوة رابعة: تسمىٰ "الفكرة" شأنها أن تقدر علىٰ تفصيل الصور التي في الخيال، وتقطيعها وتركيبها، وليس لها إدراك شيء آخر، بل إذا خطر في الخيال صورة إنسان قدر أن يجعلها نصفين: نصفٌ إنسان، ونصفٌ فرس، وربما صوّر إنسانًا يطير إذ يثبت في الخيال صورة الإنسان والطيران مفردين، والفكرة تجمع بينهما، كما تفرق بين نصفي الإنسان، وليس لها أن تخترع صورة لا مثل لها.

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

فصل: في تأليف مفردات المعاني

التأليف بين مفردين لا يخلو: إما أن ينسب أحدهما إلىٰ الآخر بنفي أو إثبات، كقولنا: "العالم حادث" و"العالم ليس بقديم".

يسمي النحويون الأول: مبتدأ، والثاني خبراً. ويسميه الفقهاء:

حكمًا ومحكومًا عليه. ويسمىٰ الجميع قضية.

والقضايا أربع:

قضية في عين نحو: "زيد عالم".

وقضية مطلقة نحو: "بعض الناس عالم".

وقضية عامة كقولنا: "كل جسم متحيز".

وقضية مهملة كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر:٢].

وربما وضع بعض المغالطين المهملة موضع العامة، كقول الشافعية: "المطعوم ربوي" دليله: البر والشعير.

فيقال: إن أردتم كل مطعوم فما دليله؟ والبر والشعير ليس كل المطعومات.

وإن أردتم البعض لم تلزم النتيجة؛ إذ يحتمل أن السفرجل من البعض الذي ليس بربوي.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فصل: [في مقدمتي البرهان وأضربه]

قد ذكرنا أن البرهان مقدمتان يتولد منهما نتيجة، ولا يسمىٰ برهانًا إلا إذا كانت المقدمتان قطعيتين، فإن كانت مظنونة سميت قياسًا فقهيًا، وإن كانت مسلمة سميت قياسًا جدليًّا، وتسميتها قياسًا مجاز؛ إذ حاصله:

إدراج خصوص تحت عموم: والقياس تقدير شيء بشيء آخر.

والبرهان علىٰ خمسة أضرب:

الأول: قولنا: كل نبيذ مسكر، وكل مسكر حرام، فيلزم منه أن كل نبيذ حرام ضرورة، متىٰ سلمت المقدمتان؛ إذ كل عقل صدّق بالمقدمتين فهو مضطر إلىٰ التصديق بالنتيجة مهما أحضرهما في الذهن.

ووجه دلالته: أنا جعلنا المسكر صفة للنبيذ، ثم حكمنا علىٰ الصفة بالتحريم، فبالضرورة يدخل الموصوف فيه. لو بطل قولنا "النبيذ حرام" مع كونه مسكرًا، بطل قولنا: "كل مسكر حرام".

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ثم اعلم أن كل واحدة من المقدمتين تشتمل علىٰ جزئين: مبتدأ وخبر. فتصير أجزاء البرهان أربعة أمور، منها واحد مكرر في المقدمتين، فتعود إلىٰ ثلاثة؛ إذ لو بقيت أربعة لم تشترك المقدمتان في شيء واحد.

مثل قولنا: "النبيذ مسكر" و"المغصوب مضمون" فلم ترتبط إحداهما بالأخرىٰ.

ويسمىٰ المكرر علة، فإنه لو قيل لك: لم حرمت النبيذ؟ قلت: لأنه مسكر.

ويسمىٰ ما جرىٰ مجرىٰ النبيذ محكومًا عليه.

وما جرىٰ مجرىٰ الحرام حكمًا.

وما يشتمل علىٰ المحكوم عليه: المقدمة الأولىٰ.

وما يشتمل علىٰ الحكم: المقدمة الثانية.

ولهذا الضرب شرطان:

أحدهما: أن تكون الأولىٰ مثبتة، ولو كانت نافية لم تنتج.

والثاني: أن تكون الثانية عامة، ليدخل فيها المحكوم عليه بسبب عمومها.

فلو قلت: "النبيذ مسكر، وبعض المسكر حرام" لم يلزم تحريم النبيذ.

الضرب الثاني: أن تكون العلة حكمًا في المقدمتين، كقولنا: "لا يقتل المسلم بالكافر"؛ لأن الكافر غير مكافٍ، وكل من يقتل به مكافٍ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فهاهنا ثلاثة معان: "مكافٍ" و"يقتل به" والثالث: "الكافر".

والمكرر: "المكافي" فهو العلة، وهو الحكم في المقدمة الأولىٰ.

وخاصية هذا النظم: أنه لا ينتج إلا قضية نافية.

ولهذا الضرب شرطان:

أحدهما: أن تختلف المقدمتان في النفي والإثبات.

والثاني: أن تكون الثانية عامة.

والضرب الثالث: أن تكون العلة مبتدأ بها في المقدمتين.

وتسميه الفقهاء نقضًا، وينتج نتيجة خاصة، كقولنا: كل سواد عرض، وكل سواد لون، فيلزم منه: أن بعض العرض لون.

ومن الفقه: كل بر مطعوم، وكل بر ربوي، فيلزم منه أن بعض المطعوم ربوي.

الضرب الرابع: التلازم: ومثاله: إن كانت الصلاة صحيحة فالمصلي متطهر، ومعلوم أن الصلاة صحيحة، فيلزم منه أن المصلي متطهر.

أو نقول: إن كانت الصلاة صحيحة فالمصلي متطهر، ومعلوم أن المصلي غير متطهر، فيلزم أن الصلاة غير صحيحة.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ووجه دلالة هذه الجملة: أنه جعل الطهارة شرطًا لصحة الصلاة، فيلزم من وجود المشروط وجود الشرط، ومن انتفاء الشرط انتفاء المشروط، ولا يلزم العكس.

فلو قال: إن كانت الصلاة صحيحة فالمصلي متطهر، ومعلوم أن المصلي متطهر لم يصح؛ إذ قد تفسد الصلاة بأمر آخر.

وكذلك لو قال: "ومعلوم أن الصلاة غير صحيحة" لا يلزم منه شيء؛ إذ لا يلزم من وجود الشرط وجود المشروط، ولا من انتفاء المشروط انتفاء الشرط.

وتحقيقه: أنه مهما جعل شيئًا لازمًا لشيء، فيجب أن يكون اللازم أعم من الملزوم، أو مساويًا له، إذ ثبوت الأخص يوجب ثبوت الأعم ضرورة، وانتفاء الأعم يوجب انتفاء الأخص، ولا يلزم من ثبوت الأعم ثبوت الأخص، ولا من انتفاء الأخص انتفاء الأعم.

ومثاله: إذا قلنا: كل حيوان جسم، فيلزم من ثبوت الحيوان ثبوت الجسم، ومن انتفاء الجسم انتفاء الحيوان، ولم يلزم العكس.

فذلك قلنا: إنه يلزم من صحة الصلاة التطهر، ومن انتفاء التطهر انتفاء الصلاة، ولم يلزم من نفي صحة الصلاة انتفاء التطهر؛ ولا من وجود التطهر وجود الصحة، لكون التطهر أعم من الصلاة.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

أما إذا كان أحدهما مساويًا للآخر، فيلزم الوجود بالوجود، والانتفاء بالانتفاء؛ لاستحالة تفارقهما، وهذا ظاهر.

كقولنا: إن كان زنا المحصن موجودًا فالرجم واجب، ومعلوم أن الرجم واجب، فيكون الزنا موجودًا، لكنه غير واجب، فلا يكون الزنا موجودًا، لكن الزنا غير موجود، فلا يكون الرجم واجبًا.

وكذلك كل معلول له علة واحدة.

الضرب الخامس: السبر والتقسيم: كقولنا: العالم إما حادث وإما قديم، لكنه حادث، فليس بقديم، أو لكنه ليس بقديم فهو حادث، أو لكنه قديم فليس بحادث، أو لكنه ليس بحادث فهو قديم.

وفي الجملة: كل نقيضين ينتج إثبات أحدهما نفي الآخر، ونفيه إثبات الآخر.

ولا يشترط انحصار القضية في قسمين، لكن من شرطه: استيفاء أقسامه.

أما إذا لم يحصر: احتمل أن الحق في قسم آخر.

فإن كانت ثلاثة، كقولنا: العدد إما مساو، أو أقل، أو أكثر، فإثبات واحد ينتج نفي الآخرين، ونفي الآخرين ينتج إثبات الثالث، وإبطال واحد ينتج: انحصار الحق في الآخرين.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فصل: [في أسباب مخالفة البرهان أو القياس]

وجميع الأدلة في أقسام العلوم ترجع إلىٰ ما ذكرناه.

وحيث يذكر لا علىٰ هذا النظم فهو: إما لقصور، وإما لإهمال إحدىٰ المقدمتين.

ثم إهمالها إما لوضوحها، وهو الغالب في الفقهيات. كقول القائل: هذا يجب رجمه؛ لأنه زنا وهو محصن، وترك المقدمة الأولىٰ لاشتهارها، وهي: وكل من زنا وهو محصن فعليه الرجم.

وأكثر أدلة القرآن علىٰ هذا، قال الله تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]. فترك: إنهما لم تفسدا للعلم به.

وكذا قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٤٢].

ثم قد يكون الإهمال للمقدمة الأولىٰ، وقد يكون للثانية. وقد تترك إحدىٰ المقدمتين للتلبيس علىٰ الخصم، وذلك يكون بترك المقدمة التي يعسر إثباتها، وينازعه الخصم فيها، استغفالًا للخصم واستجهالًا له، خشية أن يصرح بها فيتنبه ذهن خصمه لمنازعته فيها.

وعادة الفقهاء إهمال إحدىٰ المقدمتين، فيقولون في تحريم النبيذ:

مسكر، فكان حرامًا كالخمر، ولا تنقطع المطالبة عنه ما لم يردّ إلىٰ النظم الذي ذكرناه -والله أعلم-.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فصل: [في اليقين ومداركه]

واليقين: ما أذعنت النفس للتصديق به، وقطعت به، وقطعت بأن قطعها به صحيح، بحيث لو حُكي لها عن صادق خلافه لم يتوقف في تكذيب الناقل. كقولنا: الواحد أقل من الاثنين، وشخص واحد لا يكون في مكانين، ولا يتصور اجتماع ضدين.

ولنا حالة ثانية، وهي: أن تصدق بالشيء تصديقًا جزميًّا لا تتمارىٰ فيه، ولا تشعر بنقيضه البتَّة، ولو أشعرت بنقيضه لعسر إذعانها للإصغاء، لكن لو ثبتت وأصغت وحكي نقيضه عن صادق أورث ذلك توقفًا عندها.

وهذا اعتقاد أكثر الخلق، وكافة الخلق يسمون هذا يقينًا، إلا آحادًا من الناس.

فأما ما للنفس سكون إليه وتصديق به، وهي تشعر بنقيضه أو لا تشعر، لكن إن أشعرت به لم ينفر طبعها من قبوله، فهو يسمىٰ ظنًّا.

وله درجات في الميل إلىٰ النقصان والزيادة لا تحصىٰ، فمن سمع من عدل شيئًا سكنت نفسه إليه، فإن انضاف إليه ثان زاد السكون حتىٰ يصير يقينًا، وبعض الناس يسمي هذا الظن يقينًا أيضًا.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[مدارك اليقين]:

ومدارك اليقين خمسة:

الأول: الأوليات:

وهي: العقليات المحضة التي قضىٰ العقل بمجرده بها، من غير استعانة بحس وتخيل، كعلم الإنسان بوجود نفسه، وأن القديم ليس بحادث، واستحالة اجتماع الضدين، فهذه القضايا تصادف مرتسمة في النفس، حتىٰ يظن أنه لم يزل عالمًا بها، ولا يدري متىٰ تجددت، ولا يقف حصولها علىٰ أمر سوىٰ مجرد العقل.

الثاني: المشاهدات الباطنة:

كعلم الإنسان بجوع نفسه وعطشه وسائر أحواله الباطنة التي يدركها من ليس له الحواس الخمس، فليست حسية، ولا هي عقلية؛ إذ تدركها البهيمة والصبي. والأوليات لا تكون للبهائم.

الثالث: المحسوسات الظاهرة:

وهي: المدركة بالحواس الخمس، وهي: البصر، والسمع، والذوق، والشم، واللمس. فالمدرك بواحد منها يقيني، كقولنا: الثلج أبيض، والقمر مستدير، وهذا واضح.

لكن يتطرق الغلط إليها لعوارض: كتطرق الغلط إلىٰ الإبصار، لبعد أو قرب مفرط، أو ضعف في العين أو خفاء في المرئي.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ولذلك ترىٰ الظل ساكنًا وهو متحرك، وكذلك الشمس، والقمر، والنجوم، والصبي، والنبات، هو في النمو لا يتبين ذلك.

وأسباب الغلط في الأبصار المستقيمة ثمانية منها: الانعكاس كما في المرآة، والانعطاف، كما في تزاور البلور والزجاج وغير ذلك.

الرابع: التجريبيات:

ويعبر عنها باطراد العادات: ككون النار محرقة، والخبز مشبع، والماء مرو، والخمر مسكر، والحجر هاو، وهي يقينية عند من جربها.

وليست هذه محسوسة؛ فإن الحس شاهد حجرًا يهوي بعينه، أما أن كل حجر هاو، فقضية عامة لم يشاهدها، وليس للحس إلا قضية في عين.

الخامس: المتواترات:

كالعلم بوجود مكة وبغداد. وليس هو بمحسوس، إنما للحس أن يسمع، أما صدق المخبر فذلك إلىٰ العقل. فهذه الخمسة مدارك اليقين.

فأما ما يتوهم أنه منها وليس منها: فالوهميات، والمشهورات.

وهي آراء محمودة توجب التصديق بها، إما شهادة الكل، أو الأكثر، أو جماهير الأفاضل، كقولك: الكذب قبيح، وكفران المنعم، وإيلام البريء قبيح، والإنعام، وشكر المنعم، وإنقاذ الهلكىٰ حسن.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فصل: في لزوم النتيجة من المقدمتين

اعلم أنك إذا جمعت مفردين، فنسبت أحدهما إلىٰ الآخر، كقولك: "النبيذ حرام" فلم يصدق بهما العقل، فلا بد من واسطة بينهما تنسب إلىٰ المحكوم عليه، فتكون حكمًا له، وتنسب إلىٰ الحكم فتصير حكمًا لها، فيصدق العقل، فيزم - ضرورة- التصديق بنسبة الحكم إلىٰ المحكوم عليه.

بيانه: إذا قال: "النبيذ حرام" فمنع وطلب واسطة ربما صدّق العقل بوجودها في النبيذ، وصدق بوصف الحرام لتلك الواسطة، فيقول: النبيذ مسكر؟ فيقول: نعم. إذا كان قد علم ذلك بالتجربة.

فيقول: وكل مسكر حرام؟ فيقول: نعم إذا كان قد حصل ذلك بالسماع، فيلزم التصديق بأن النبيذ حرام.

فإن قيل: هذه القضية ليست خارجة عن القضيتين؟

قلنا: هذا غلط؛ فإن قولك: "النبيذ حرام" غير قولك: "النبيذ مسكر" وغير قولك: "المسكر حرام"، بل هذه ثلاث مقدمات مختلفات لا تكرير فيها.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

لكن قولك: "المسكر حرام" شمل "النبيذ" بعمومه، فدخل "النبيذ" فيه بالقوة، لا بالفعل؛ إذ قد يخطر العام في الذهن، ولا يخطر الخاص، فمن قال: "الجسم متحيز" قد لا يخطر بباله في الحال الثعلب، فضلًا من أن يخطر أنه متحيز، فالنتيجة موجودة في إحدىٰ المقدمتين بالقوة القريبة، فلا تخرج إلىٰ الفعل بمجرد العلم بالمقدمتين، ما لم تحضر المقدمتين في الذهن، ووجه وجود النتيجة في المقدمتين بالقوة.

ولا يبعد أن ينظر الناظر إلىٰ بغلة منتفخة البطن فيظن أنها حامل. فيقال: هل تعلم أن البغلة عاقر؟ فيقول: نعم. فيقال: وهل تعلم أن هذه بغلة؟ فيقول: نعم. فيقال: فكيف توهمت حملها؟ فتعجب من توهمه مع علمه بالمقدمتين.

فإن قيل: فالمطلوب بالنظر معلوم أم مجهول؟

إن كان معلومًا فكيف تطلبه وأنت واجده؟

وإن كان مجهولًا فبم تعلم أنه مطلوبك؟

قلنا: هذا تقسيم غير حاصر، بل ثَمَّ قسم آخر، وهو أني أعرفه من وجه دون وجه، فإني أفهم المفردات، وأعلم جملة النتيجة المطلوبة بالقوة، ولا أعلمها بالفعل، فهو كطلب الآبق في البيت، فإني أعرفه بصورته وأجهله بمكانه، وكونه في البيت أفهمه مفردًا، فهو معلوم لي بالقوة، وأطلب حصوله من جهة حاسة البصر، فإذا رأيته في البيت صدقت بكونه فيه.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فصل: [في تقسيم البرهان: إلى برهان علة وبرهان دلالة]

وإذا استدللت بالعلة علىٰ المعلول فهو: برهان علة: كالاستدلال بالغيم علىٰ المطر.

وإن استدللت بالمعلول علىٰ العلة، أو بأحد المعلولين علىٰ الآخر:

فهو برهان دلالة، كالاستدلال بالمطر علىٰ الغيم.

والاستدلال بأحد المعلولين علىٰ الآخر، كقولنا: كل من صح طلاقه صح ظهاره، والذمي يصح طلاقه فيصح ظهاره، فإن إحدىٰ النتيجتين تدل علىٰ الأخرىٰ بواسطة العلة؛ فإنها تلازم علتها، والأخرىٰ تلازم علتها، وملازم الملازم ملازم.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فصل: [في الاستدلال بالاستقراء]

فأما الاستدلال بالاستقراء: فهو عبارة عن تصفح أمور جزئية ليحكم بحكمها علىٰ مثلها، كقولنا -في الوتر-: ليس بفرض؛ لأنه يؤدىٰ علىٰ الراحلة، والفرض لا يؤدىٰ عليها.

فيقال: لِمَ قلتم: إن الفرض لا يؤدىٰ عليها؟

قلنا: بالاستقراء؛ إذ رأينا القضاء والنذر والأداء لا يؤدىٰ عليها، فهذا مخيل يصلح للظنيات دون القطعيات، فإن حكمه بأن كل فرض لا يؤدىٰ علىٰ الراحلة يمنعه الخصم؛ إذ الوتر عنده واجب يؤدىٰ عليها.

فنقول: هل استقرأت حكم الوتر في تصفحك أم لا؟

فإن قال: وجدته قيل له كيف وجدته؟ فإن قال وجدته لا يؤدىٰ علىٰ الراحلة فباطل إجماعًا.

ثم هو يبطل المقدمة الأخرىٰ علىٰ نفسه؛ إذ هي أن الوتر يؤدىٰ علىٰ الراحلة.

وإن قال: لم أتصفحه، فلم يبين إلا بعض الأجزاء، فخرجت المقدمة عن أن تكون عامة، فإذًا لا يصلح ذلك إلا في الفقهيات.

والله أعلم، هذا تمام المقدمة.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

العقيدة الصحيحة
وما يضادها

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله
(١٣٣٠-١٤٢٠هـ)

العقيدة الصحيحة وما يضادها

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، وعلىٰ آله وصحبه. **أما بعد:**

فلما كانت العقيدة الصحيحة هي أصل دين الإسلام، وأساس الملة، رأيت أن تكون هي موضوع المحاضرة، ومعلوم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة أن الأعمال والأقوال إنما تصح وتقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة، فإن كانت العقيدة غير صحيحة بطل ما يتفرع عنها من أعمال وأقوال، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

وقد دل كتاب الله المبين، وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم علىٰ أن العقيدة الصحيحة تتلخص في: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره؛ فهذه الأمور الستة هي أصول العقيدة الصحيحة التي نزل بها كتاب الله العزيز، وبعث الله بها رسوله محمدًا عليه الصلاة والسلام، ويتفرع عن هذه الأصول كل ما يجب الإيمان به من أمور الغيب، وجميع ما أخبر الله به ورسوله صلىٰ الله عليه وسلم، وأدلة هذه الأصول الستة في الكتاب والسنة كثيرة جدًّا.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فمن ذلك قول الله سبحانه: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة:١٧٧] الآية، وقوله سبحانه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥] الآية.

وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦]، وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠].

أما الأحاديث الصحيحة الدالة علىٰ هذه الأصول فكثيرة جدًّا:

منها: الحديث الصحيح المشهور الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام سأل النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن الإيمان، فقال له: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» الحديث. وأخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وهذه الأصول الستة: يتفرع عنها جميع ما يجب علىٰ المسلم اعتقاده في حق الله سبحانه وفي أمر المعاد وغير ذلك من أمور الغيب.

فمن الإيمان بالله سبحانه: الإيمان بأنه الإله الحق المستحق للعبادة دون كل ما سواه لكونه خالق العباد والمحسن إليهم والقائم بأرزاقهم والعالم بسرهم وعلانيتهم القادر علىٰ إثابة مطيعهم وعقاب عاصيهم ولهذه العبادة خلق الله الثقلين وأمرهم بها، كما قال تعالىٰ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٦ - ٥٨]، وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١ - ٢٢].

وقد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لبيان هذا الحق والدعوة إليه، والتحذير مما يضاده، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال عز وجل: ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ [هود:١-٢].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وحقيقة هذه العبادة: هي إفراد الله سبحانه بجميع ما تعبد العباد به من دعاء وخوف ورجاء وصلاة وصوم وذبح ونذر وغير ذلك من أنواع العبادة علىٰ وجه الخضوع له والرغبة والرهبة، مع كمال الحب له سبحانه، والذل لعظمته؛ وغالب القرآن الكريم نزل في هذا الأصل العظيم، كقوله سبحانه: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر:٢-٣].

وقوله سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسراء:٢٣]، وقوله عز وجل: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر:١٤].

وفي الصحيحين: عن معاذ رضي الله عنه أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «**حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**».

ومن الإيمان بالله أيضًا: الإيمان بجميع ما أوجبه علىٰ عباده وفرضه عليهم من أركان الإسلام الخمسة الظاهرة وهي: «**شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلًا**»، وغير ذلك من الفرائض التي جاء بها الشرع المطهر.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وأهم هذه الأركان وأعظمها: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

فشهادة أن لا إله إلا الله تقتضي إخلاص العبادة لله وحده، ونفيها عما سواه، وهذا هو معنىٰ لا إله إلا الله، فإن معناها: (**لا معبود بحق إلا الله**)، فكل ما عبد من دون الله من بشر أو ملك أو جني أو غير ذلك فكله معبود بالباطل، والمعبود بالحق: هو الله وحده، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢].

وقد سبق بيان أن الله سبحانه خلق الثقلين لهذا الأصل الأصيل وأمرهم به، وأرسل به رسله وأنزل به كتبه، فتأمل ذلك جيدًا وتدبره كثيرًا ليتضح لك ما وقع فيه أكثر المسلمين من الجهل العظيم بهذا الأصل الأصيل حتىٰ عبدوا مع الله غيره، وصرفوا خالص حقه لسواه، فالله المستعان.

ومن الإيمان بالله سبحانه: الإيمان بأنه خالق العالم ومدبر شؤونهم، والمتصرف فيهم بعلمه وقدرته كما يشاء سبحانه، وأنه مالك الدنيا والآخرة ورب العالمين جميعا، لا خالق غيره، ولا رب سواه، وأنه أرسل الرسل وأنزل الكتب لإصلاح العباد ودعوتهم إلىٰ ما فيه نجاتهم وصلاحهم في العاجل والآجل، وأنه سبحانه لا شريك له في جميع ذلك؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ومن الإيمان بالله أيضًا: الإيمان بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا الواردة في كتابه العزيز، والثابتة عن رسوله الأمين من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل يجب أن تمر كما جاءت بلا كيف، مع الإيمان بما دلت عليه من المعاني العظيمة التي هي أوصاف لله عز وجل يجب وصفه بها علىٰ الوجه اللائق به من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته، كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، وقال عز وجل: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٤].

وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأتباعهم بإحسان، وهي التي نقلها الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله في كتابه **"المقالات عن أصحاب الحديث وأهل السنة"**، ونقلها غيره من أهل العلم والإيمان.

قال الأوزاعي رحمه الله: (سئل الزهري ومكحول عن آيات الصفات فقال: أمروها كما جاءت)، وقال الوليد بن مسلم رحمه الله: (سئل مالك والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان الثوري رحمهم الله عن الأخبار الواردة في الصفات: فقالوا جميعًا: أمروها كما جاءت بلا كيف)، وقال الأوزاعي رحمه الله: (كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله سبحانه علىٰ عرشه، ونؤمن بما ورد في السنة من الصفات).

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ولما سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ مالك رحمة الله عليهما عن الاستواء قال: (**الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة وعلىٰ الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق**)، ولما سئل الإمام مالك رحمه الله عن ذلك قال: (**الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**)، ثم قال للسائل: (**ما أراك إلا رجل سوء، وأمر به فأخرج**).

وروي هذا المعنىٰ عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، وقال الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه: (نعرف ربنا سبحانه بأنه فوق سماواته علىٰ عرشه، بائن من خلقه).

وكلام الأئمة في هذا الباب كثيرة جدًّا لا يمكن نقله في هذه المحاضرة، ومن أراد الوقوف علىٰ كثير من ذلك فليراجع ما كتبه علماء السنة في هذا الباب، مثل كتاب "السنة" لعبد الله بن الإمام أحمد، وكتاب "التوحيد" للإمام الجليل محمد بن خزيمة، وكتاب "السنة" لأبي القاسم اللالكائي الطبري، وكتاب "السنة" لأبي بكر بن أبي عاصم، وجواب شيخ الإسلام ابن تيمية لأهل حماة، وهو جواب عظيم كثير الفائدة، قد أوضح فيه رحمه الله عقيدة أهل السنة، ونقل فيه الكثير من كلامهم، والأدلة الشرعية والعقلية علىٰ صحة ما قاله أهل السنة، وبطلان ما قاله خصومهم.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وهكذا رسالته الموسومة بالتدمرية، قد بسط فيها المقام وبين فيها عقيدة أهل السنة بأدلتها النقلية والعقلية، والرد علىٰ المخالفين بما يظهر الحق ويدمغ الباطل لكل من نظر في ذلك من أهل العلم بقصد صالح ورغبة في معرفة الحق.

وكل من خالف أهل السنة فيما اعتقدوه في باب الأسماء والصفات فإنه يقع ولابد في مخالفة الأدلة النقلية والعقلية، مع التناقض الواضح في كل ما يثبته وينفيه.

أما أهل السنة والجماعة: فأثبتوا لله سبحانه ما أثبته لنفسه في كتابه الكريم، أو أثبته له رسوله محمد صلىٰ الله عليه وسلم في سنته الصحيحة إثباتًا بلا تمثيل، ونزهوه سبحانه عن مشابهة خلقه تنزيهًا بريئًا من التعطيل، ففازوا بالسلامة من التناقض، وعملوا بالأدلة كلها، وهذه سنة الله سبحانه فيمن تمسك بالحق الذي بعث به رسله، وبذل وسعه في ذلك، وأخلص لله في طلبه أن يوفقه للحق ويظهر حجته، كما قال تعالىٰ: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء:١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان:٣٣].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره المشهور عند كلامه علىٰ قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤] الآية كلامًا حسنًا في هذا الباب يحسن نقله هاهنا لعظم فائدته.

قال رحمه الله ما نصه: (للناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًّا ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح، مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلىٰ أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، بل الأمر كما قال الأئمة، منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال: من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالىٰ ما وردت به الآيات الصريحة، والأخبار الصحيحة علىٰ الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفىٰ عن الله تعالىٰ النقائص فقد سلك سبيل الهدىٰ).

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وأما الإيمان بالملائكة: فيتضمن الإيمان بهم إجمالًا وتفصيلًا، فيؤمن المسلم بأن لله ملائكة خلقهم لطاعته، ووصفهم بأنهم عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[الأنبياء:٢٨].

وهم أصناف كثيرة؛ منهم: الموكلون بحمل العرش، ومنهم: خزنة الجنة والنار، ومنهم: الموكلون بحفظ أعمال العباد؛ ونؤمن علىٰ سبيل التفصيل بمن سمىٰ الله ورسوله منهم، كجبريل، وميكائيل، ومالك خازن النار، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور، وقد جاء ذكره في أحاديث صحيحة.

وقد ثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**» أخرجه مسلم في صحيحه.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وهكذا الإيمان بالكتب: يجب الإيمان إجمالًا بأن الله سبحانه أنزل كتبًا علىٰ أنبيائه ورسله لبيان حقه والدعوة إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٣].

ونؤمن علىٰ سبيل التفصيل بما سمىٰ الله منها؛ كالتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن؛ والقرآن: هو أفضلها وخاتمها، وهو المهيمن عليها والمصدق لها، وهو الذي يجب علىٰ جميع الأمة اتباعه وتحكيمه مع ما صحت به السنة عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، لأن الله سبحانه بعث رسوله محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم رسولًا إلىٰ جميع الثقلين، وأنزل عليه هذا القرآن ليحكم به بينهم، وجعله شفاء لما في الصدور وتبيانا لكل شيء، وهدىٰ ورحمة للمؤمنين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥].

وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وهكذا الرسل: يجب الإيمان بهم إجمالًا وتفصيلًا، فنؤمن أن الله سبحانه أرسل إلىٰ عباده رسلًا، منهم مبشرين ومنذرين ودعاة إلىٰ الحق، فمن أجابهم فاز بالسعادة، ومن خالفهم باء بالخيبة والندامة، وخاتمهم وأفضلهم هو نبينا محمد بن عبد الله صلىٰ الله عليه وسلم، كما قال الله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء:١٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

ومن سمىٰ الله منهم أو ثبت عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تسميته آمنَّا به علىٰ سبيل التفصيل والتعيين، كنوح وهود وصالح وإبراهيم وغيرهم عليهم وعلىٰ نبينا أفضل الصلاة وأزكىٰ التسليم.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وأما الإيمان باليوم الآخر: فيدخل فيه الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله صلىٰ الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت كفتنة القبر وعذابه ونعيمه، وما يكون يوم القيامة من الأهوال والشدائد والصراط والميزان، والحساب، والجزاء، ونشر الصحف بين الناس، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره، ويدخل في ذلك أيضًا الإيمان بالحوض المورود لنبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم، والإيمان بالجنة والنار، ورؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتكليمه إياهم، وغير ذلك مما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيجب الإيمان بذلك كله وتصديقه علىٰ الوجه الذي بينه الله ورسوله صلىٰ الله عليه وسلم.

وأما الإيمان بالقدر فيتضمن الإيمان بأمور أربعة:

أولها: أن الله سبحانه قد علم ما كان وما يكون، وعلم أحوال عباده، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وغير ذلك من شؤونهم، لا يخفىٰ عليه من ذلك شيء سبحانه وتعالىٰ، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٧٥]، وقال عز وجل: ﴿لِّتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق:١٢].

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

والأمر الثاني: كتابته سبحانه لكل ما قدره وقضاه كما قال سبحانه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾ [ق:٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠].

الأمر الثالث: الإيمان بمشيئته النافذة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج:١٨]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

الأمر الرابع: خلقه سبحانه لجميع الموجودات، لا خالق غيره ولا رب سواه، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر:٣].

فالإيمان بالقدر يشمل الإيمان بهذه الأمور الأربعة عند أهل السنة والجماعة، خلافًا لما أنكر بعض ذلك من أهل البدع.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ويدخل في الإيمان بالله: اعتقاد أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأنه لا يجوز تكفير أحد من المسلمين بشيء من المعاصي التي دون الشرك والكفر؛ كالزنا والسرقة، وأكل الربا وشرب المسكرات، وعقوق الوالدين وغير ذلك من الكبائر ما لم يستحل ذلك؛ لقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، ولما ثبت في الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن الله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان.

ومن الإيمان بالله: الحب في الله والبغض في الله، والموالاة في الله والمعاداة في الله؛ فيحب المؤمن المؤمنين ويواليهم، ويبغض الكفار ويعاديهم، وعلىٰ رأس المؤمنين من هذه الأمة أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فأهل السنة والجماعة يحبونهم ويوالونهم، ويعتقدون أنهم خير الناس بعد الأنبياء؛ لقول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» متفق علىٰ صحته.

ويعتقدون أن أفضلهم أبوبكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضىٰ رضي الله عنهم أجمعين؛ وبعدهم بقية العشرة، ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين؛ ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويعتقدون أنهم في ذلك مجتهدون، من أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ويحبون أهل بيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المؤمنين به، ويتولونهم، ويتولون أزواج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أمهات المؤمنين، ويترضون عنهن جميعًا، ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ويسبونهم، ويغلون في أهل البيت، ويرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله عز وجل، كما يتبرؤون من طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل.

وجميع ما ذكرناه في هذه الكلمة الموجزة داخل في العقيدة الصحيحة التي بعث الله بها رسوله محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم، وهي عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة التي قال فيها النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «**لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم حتىٰ يأتي أمر الله سبحانه**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، وافترقت النصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**»، فقال الصحابة: من هي يا رسول الله؟ قال: «**من كان علىٰ مثل ما أنا عليه وأصحابي**»، وهي العقيدة التي يجب التمسك بها والاستقامة عليها، والحذر مما خالفها.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وأما المنحرفون عن هذه العقيدة والسائرون علىٰ ضدها فهم أصناف كثيرة:

فمنهم: عباد الأصنام والأوثان والملائكة والأولياء والجن والأشجار والأحجار وغيرها، فهؤلاء لم يستجيبوا لدعوة الرسل، بل خالفوهم وعاندوهم كما فعلت قريش وأصناف العرب مع نبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم، وكانوا يسألون معبوداتهم قضاء الحاجات، وشفاء المرضىٰ، والنصر علىٰ الأعداء، ويذبحون لهم وينذرون لهم، فلما أنكر عليهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ذلك، وأمرهم بإخلاص العبادة لله وحده، استغربوا ذلك وأنكروه وقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[ص:٥].

فلم يزل صلىٰ الله عليه وسلم يدعوهم إلىٰ الله وينذرهم من الشرك، ويشرح لهم حقيقة ما يدعو إليه حتىٰ هدىٰ الله منهم من هدىٰ، ثم دخلوا بعد ذلك في دين الله أفواجًا، فظهر دين الله علىٰ سائر الأديان بعد دعوة متواصلة وجهاد طويل من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، والتابعين لهم بإحسان.

ثم تغيرت الأحوال، وغلب الجهل علىٰ أكثر الخلق، حتىٰ عاد الأكثرون إلىٰ دين الجاهلية، بالغلو في الأنبياء والأولياء، ودعائهم والاستغاثة بهم، وغير ذلك من أنواع الشرك، ولم يعرفوا معنىٰ: **(لا إله إلا الله)** كما عرف معناها كفار العرب، فالله المستعان.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ولم يزل هذا الشرك يفشو في الناس إلىٰ عصرنا هذا بسبب غلبة الجهل، وبعد العهد بعصر النبوة.

وشبهة هؤلاء المتأخرين هي شبهة الأولين، وهي قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣].

وقد أبطل الله هذه الشبهة، وبين أن من عبد غيره كائنًا من كان فقد أشرك به وكفر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]؛ فرد الله عليهم سبحانه بقوله: ﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس:١٨]؛ فبين سبحانه في هذه الآية أن عبادة غيره من الأنبياء والأولياء أو غيرهم هي الشرك الأكبر وإن سماها فاعلوها بغير ذلك.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]؛ فرد الله عليهم سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر:٣] فأبان بذلك سبحانه أن عبادتهم لغيره بالدعاء والخوف والرجاء ونحو ذلك كفر به سبحانه، وأكذبهم في قولهم إن آلهتهم تقربهم إليه زلفىٰ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ومن العقائد الكفرية المضادة للعقيدة الصحيحة والمخالفة لما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام: ما يعتقده الملاحدة في هذا العصر من أتباع ماركس، ولينين وغيرهما من دعاة الإلحاد والكفر؛ سواء سموا ذلك اشتراكية، أو شيوعية، أو بعثية أو غير ذلك من الأسماء، فإن من أصول هؤلاء الملاحدة أنه (لا إله والحياة مادة)، ومن أصولهم إنكار المعاد، وإنكار الجنة والنار، والكفر بالأديان كلها، ومن نظر في كتبهم ودرس ما هم عليه علم ذلك يقينًا، ولا ريب أن هذه العقيدة مضادة لجميع الأديان السماوية، ومفضية بأهلها إلىٰ أسوأ العواقب في الدنيا والآخرة.

ومن العقائد المضادة للحق: ما يعتقده بعض الباطنية وبعض المتصوفة من أن بعض من يسمونهم بالأولياء يشاركون الله في التدبير، ويتصرفون في شؤون العالم، ويسمونهم بالأقطاب والأوتاد والأغواث، وغير ذلك من الأسماء التي اخترعوها لآلهتهم.

وهذا من أقبح الشرك في الربوبية، وهو شر من شرك جاهلية العرب، لأن كفار العرب لم يشركوا في الربوبية، وإنما أشركوا في العبادة، وكان شركهم في حال الرخاء، أما في حال الشدة فيخلصون لله العبادة، كما قال الله سبحانه: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

أما الربوبية فكانوا معترفين بها لله وحده، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف:٨٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

أما المشركون المتأخرون فزادوا علىٰ الأولين من جهتين:

إحداهما: شرك بعضهم في الربوبية.

والثانية: شركهم في الرخاء والشدة كما يعلم ذلك من خالطهم وسبر أحوالهم، ورأىٰ ما يفعلون عند قبر الحسين، والبدوي وغيرهما في مصر، وعند قبر العيدروس في عدن، والهادي في اليمن، وابن عربي في الشام، والشيخ عبد القادر الجيلاني في العراق، وغيرها من القبور المشهورة التي غلت فيها العامة، وصرفوا لها الكثير من حق الله عز وجل.

وقل من ينكر عليهم ذلك، ويبين لهم حقيقة التوحيد الذي بعث الله به نبيه محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم، ومن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ونسأله سبحانه أن يردهم إلىٰ رشدهم، وأن يكثر بينهم دعاة الهدىٰ، وأن يوفق قادة المسلمين وعلماءهم لمحاربة هذا الشرك والقضاء عليه ووسائله، إنه سميع قريب.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ومن العقائد المضادة للعقيدة الصحيحة في باب الأسماء والصفات: عقائد أهل البدع من الجهمية والمعتزلة، ومن سلك سبيلهم في نفي صفات الله عز وجل، وتعطيله سبحانه من صفات الكمال، ووصفه عز وجل بصفة المعدومات والجمادات والمستحيلات، تعالىٰ الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

ويدخل في ذلك من نفىٰ بعض الصفات وأثبت بعضها كالأشاعرة، فإنه يلزمهم فيما أثبتوه من الصفات نظير ما فروا منه في الصفات التي نفوها وتأولوا أدلتها، فخالفوا بذلك الأدلة السمعية والعقلية، وتناقضوا في ذلك تناقضًا بينًا.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

أما أهل السنة والجماعة: فقد أثبتوا لله سبحانه ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله محمد صلىٰ الله عليه وسلم من الأسماء والصفات علىٰ وجه الكمال، ونزهوه عن مشابهة خلقه تنزيهًا بريئًا من شائبة التعطيل، فعملوا بالأدلة كلها ولم يحرفوا ولم يعطلوا، وسلموا من التناقض الذي وقع فيه غيرهم - كما سبق بيان ذلك -.

وهذا هو سبيل النجاة، والسعادة في الدنيا والآخرة، وهو الصراط المستقيم الذي سلكه سلف هذه الأمة وأئمتها، ولن يصلح آخرهم إلا بما صلح به أولهم، وهو اتباع الكتاب والسنة وترك ما خالفهما.

والله ولي التوفيق، وهو سبحانه حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا به؛ وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.

رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
كتاب البر والصلة من صحيح مسلم	٥
فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام	٢٧
الخلاصة في أصول الفقه	٨٣
التذكرة في علوم الحديث	٨٥
كشف الشبهات	٩٧
روضة الناظر وجنة المناظر	١٣٣
العقيدة الصحيحة وما يضادها	١٦٧
فهرس الموضوعات	١٩١

*****

مؤسسة ابن جبرين الخيرية

أنشئت وفاءً لهذا العالم الجليل سماحة الشيخ الوالد العلامة د. عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين رحمه الله لتتبنىٰ الرسالة التي كان يحملها وينشرها.

تشرفت في أول مجلس أمناء لها برئاسة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز حفظه الله حينما كان أميرًا لمنطقة الرياض، ويضم مجلس أمنائها سماحة المفتي العام للمملكة العربية السعودية، وعددًا من أصحاب الفضيلة العلماء وأصحاب السمو الأمراء، وأصحاب المعالي الوزراء، وأصحاب المعالي والسعادة من رجال الأعمال، ووجهاء المجتمع.

وتعمل المؤسسة وفق التخطيط الاستراتيجي بعيد المدىٰ، وتستعين بالمختصين كل في مجاله، وتضم ضمن العاملين بها طاقات متميزة وخبرات فريدة.

ومن أهم أعمالها:

أولاً: العناية بجمع وتوثيق ونشر تراث الشيخ العلمي من خلال:

١- جمع التراث الصوتي والمرئي والمكتوب لسماحة الشيخ رحمه الله.

٢- نشر هذا التراث وإخراجه في عدد من الأوعية من خلال الوسائل المسموعة والمرئية والمقروءة إضافة إلىٰ الكتب المطبوعة.

ومن أبرز المشروعات التي تعمل علىٰ إكمالها وتطويرها:

- فتاوىٰ الشيخ عبد الله بن جبرين.
- الكتب الموسوعية في شتىٰ مجالات العلوم الشرعية التي تولىٰ الشيخ شرحها.
- الصفحات الرسمية للشيخ رحمه الله علىٰ مواقع التواصل الاجتماعي.
- الموقع الالكتروني الرئيس للشيخ رحمه الله والمواقع التابعة له.
- الوقف العلمي الذي سيخصص ريعه لرعاية الجهود التي كان الشيخ رحمه الله يقوم بها.

ثانيًا: الاستمرار في العمل التعليمي الذي كان يقوم به الشيخ رحمه الله من خلال:

١- الدروس العلمية الدائمة التي كان يقوم بها الشيخ رحمه الله؛ حيث يدرس فيها الآن أبرز تلاميذه وغيرهم من طلاب العلم علىٰ مدار العام.

٢- الدورة الشرعية السنوية التي كان يقيمها الشيخ رحمه الله، وقد استمرت المؤسسة

بعد وفاته رحمه الله في عقدها ورعاية طلابها، ويشارك في إلقائها عدد من كبار العلماء.

٣- مواصلة القيام بالأعمال الاجتماعية التي كان الشيخ رحمه الله يقوم بها، ومنها إحياء مجلسه اليومي بعد صلاة العصر لاستقبال الزوار وذوي الحاجات ومساعدة الناس بالشفاعات والوجاهات والفتاوىٰ وغيرها.

رحم الله الشيخ وأسكنه فسيح جناته وجعل ما قدمه للأمة في ميزان حسناته، وأخلف علىٰ الأمة بخير، وجزىٰ الله ولاة الأمر في هذه البلاد علىٰ وفائهم لعلماء البلاد ووقوفهم مع الناس في كل أحوالهم.

*****

إصدارات مؤسسة ابن جبرين الخيرية

الرقم	اسم الكتاب
-	أعجوبة العصر، ترجمة حياة الشيخ عبد الله بن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
-	أبي كما عرفته.
١	شرح عقيدة أهل السنة والجماعة.
٢	قدوة يحتذىٰ بها – نظرات في الجهود العلمية والدعوية للشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
٣	حقيقة الفتوىٰ وشروط المفتي.
٤	الرقية الشرعية.
٥	مختارات من الرقية الشرعية.
٦	الرياض الندية شرح العقيدة الطحاوية (٥ مجلدات).
٧	السبك الفريد شرح كتاب التوحيد (مجلدان).
٨	التعليقات الزكية شرح العقيدة الواسطية (مجلد).
٩	إبهاج المؤمنين شرح منهج السالكين (مجلدان).
١٠	الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد (مجلد).
١١	النقوش الذهبية علىٰ القلائد البرهانية (مجلد).
١٢	شرح الأربعين النووية (مجلد).
١٣	تيسير فقه المعاملات (مجلد).
١٤	الإفصاح شرح التحقيق والإيضاح من مسائل الحج والعمرة والزيارة (مجلد).
١٥	منهاج المسلم بين العلم والعمل.
١٦	الفتاوىٰ الشرعية في المسائل الطبية.
١٧	حاجة البشر إلىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
١٨	شرح أصول العقائد الدينية.
١٩	الثمرات الجنية شرح المنظومة البيقونية
٢٠	فتاوىٰ وأحكام في نبي الله عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.
٢١	شرح المنظومة الحائية.
٢٢	شرح التائية.
٢٣	شرح نواقض الإسلام.

٢٤	شرح عقيدة الكلوذاني.
٢٥	شرح أصول السنة.
٢٦	الأجوبة الفقهية علىٰ الأسئلة التعليمية والتربوية.
٢٧	النخبة من الفتاوىٰ النسائية.
٢٨	شرح شروط الصلاة.
٢٩	تربية الأجيال وتنشئة الأطفال.
٣٠	فتاوىٰ الزكاة.
٣١	التدخين مادته وحكمه في الإسلام.
٣٢	الصيام آداب وأحكام.
٣٣	السراج الوهاج للمعتمر والحاج.
٣٤	حوار حول الاعتكاف.
٣٥	فصول مسائل تتعلق بالمساجد.
٣٦	شرح لامية شيخ الإسلام.
٣٧	الحلول الشرعية للخلافات والمشكلات الزوجية.
٣٨	المفيد في تقريب أحكام المسافر.
٣٩	توضيح منسك شيخ الإسلام ابن تيمية.
٤٠	حكم إتيان السحرة وتصديقهم.
٤١	شرح الزركشي علىٰ مختصر الخرقي – رسالة الدكتوراه للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥ مجلدات).
٤٢	تخريج أحاديث شرح الزركشي (٣ مجلدات).
٤٣	شرح كتاب تجريد التوحيد المفيد.
٤٤	شرح كتاب اعتقاد أئمة الحديث.
٤٥	شرح رسالة الإسلام دين كامل.
٤٦	شرح رسالة لطيفة في أصول الفقه
٤٧	شرح رسالة أصول وكليات من أصول التفسير وكلياته.
٤٨	شرح كتاب جامع المسالك في أحكام المناسك.
٤٩	شرح كتاب مختصر الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
٥٢	شرح السنة للإمام البربهاري.

٥٣	شرح الدرة المضية في سيرة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.
٥٤	التعليق علىٰ كتاب الحيدة والاعتذار.
٥٥	شرح كتاب عقيدة الإمام الشافعي.
٥٧	أخبار الآحاد في الحديث النبوي – رسالة الماجستير للشيخ رحمه الله.
٦٠	شرح كتاب الاعتقاد للقاضي أبي يعلىٰ.
٦١	شرح كتاب الاقتصاد في الاعتقاد لعبد الغني المقدسي.
٦٢	شرح كتاب حقيقة الصيام لابن تيمية.

*****

مؤسسة ابن جبرين الخيرية

تهدف إلى العناية بتراث سماحة الشيخ العلامة د عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين رحمه الله جمعًا وتوثيقًا ونشراً ؛ بمختلف الوسائل ، ومن ذلك : الكتب المطبوعة والإلكترونية، والوسائط المسموعة والمرئية، ومواقع الإنترنت ، ووسائل النشر والإعلام المختلفة.

الرؤية:

مؤسسة رائدة في خدمة العلم والعلماء، ونشر العلم في المجتمع، وتأكيد منهج الوسطية والإعتدال .

الأنشطة:

١.طباعة الكتب الشرعية ونشرها.

٢.إقامة الدروس الشرعية في المساجد على مدار الأسبوع خلال العام الدراسي وبثها على الشبكة العنكبوتية .

٣.الشراكة مع الجامعات لدعم الباحثين الأكاديميين وذلك في البحوث المقدمة في تراث الشيخ رحمه الله.

٤.الإدارة والإشراف على المواقع الإلكترونية التي تخدم أنشطة المؤسسة المختلفة.

٥.الدورات العلمية: وهي دورة سنوية يحضرها طلاب الكليات الشرعية وغيرهم من أنحاء المملكة.

٦.الإشراف على الأنشطة الاجتماعية المتعددة على مدار العام.

٧.خدمة الجهات والأشخاص من خلال تقديم الدعم الفني لهم بما تملكه المؤسسة من خبرات وتجهيزات فنية .

الدورة العلمية ١٣

تحت رعاية مؤسسة

سماحة الشيخ العلامة

د. عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين